الفصل الرابع
إله اليهود وإله المسيحيين

كان اليهود فى بدْء ظهورهم على مسرح الأحداث بدوًا رُحَّلاً، يخافون شياطين الهواء، ويعبدون الصخور، والماشية، والضأن، وأرواح الكهوف، والجبال، ولم يتخلَّوْا قط عن عبادة العجل والكبش والحَمَل؛ بل إنَّ سيِّدنا موسى ﷺ نفسه لم يستطع منع قطيعه ـ كما يقول ول ديورانت ـ من عبادة العجل الذهبى، لأنَّ عبادة العجول كانت لا تزال حيَّة فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر، وظلُّوا زمنًا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى، آكل العشب رمزًا لإلههم[1]، وإنَّا لنقرأ فى سفر الخروج حرص اليهود على عبادة العجل، وكَذَبُوا على سيِّدنا هارون ﷺ، فزعموا أنَّه صنع لهم عجلا من الذهب الَّذى اغتصبوه من المصريِّين " ٥ وَعِنْدَمَا شَاهَدَ هَرُونُ ذَلِكَ شَيَّدَ مَذْبَحاً أَمَامَ الْعِجْلِ وَأَعْلَنَ: «غَداً هُوَ عِيدٌ لِلرَّبِّ». ٦ فَبَكَّرَ الشَّعْبُ فِى الْيَوْمِ الثَّانِى وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا قَرَابِينَ سَلاَمٍ. ثُمَّ احْتَفَلُوا فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، وَمِنْ ثَمَّ قَامُوا لِلَّهْوِ وَالْمُجُونِ."[2].

رجع سيّدنا موسى ﷺ غضبان أسفًا ليرى اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبى " ١٩ وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ مُوسَى مِنَ الْمُخَيَّمِ وَشَاهَدَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبُهُ وَأَلْقَى بِاللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَكَسَّرَهُمَا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. ٢٠ ثُمَّ أَخَذَ

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٣٥

(٢) خروج ٣٢ / ٥ ـ ٦.

العِجْلَ الذَّهَبِى وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى الشُّرْبِ مِنْهُ." (١).

وكان القتل جزاء عبدة العجل " ٢٥ وَلَمَّا رَأَى مُوسَى أَنَّ الشَّعْبَ غَارِقٌ فِى مُجُونِهِ بَعْدَ أَنْ أَفْلَتَ هَرُونُ زِمَامَهُمْ فَصَارُوا بِذَلِكَ مَثَارَ سُخْرِيَةِ أَعْدَائِهِمْ، ٢٦ وَقَفَ فِى بَابِ الْمُخَيَّمِ وَصَاحَ: «كُلُّ مَنْ يَتْبَعُ الرَّبَّ فَلْيُقْبِلْ إِلَى هُنَا». فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ اللاَّوِيُّونَ. ٢٧ فَهَتَفَ بِهِمْ: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ إِلَهُ بَنِى إِسْرَائِيلَ: لِيَتَقَلَّدْ كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ، وَجُولُوا فِى الْمُخَيَّمِ ذِهَاباً وَإِيَاباً مِنْ مَدْخَلٍ إِلَى مَدْخَلٍ، وَاقْتُلُوا كُلَّ دَاعِرٍ سَوَاءٌ أَكَانَ أَخاً أَمْ صَاحِباً أَمْ قَرِيباً». ٢٨ فَأَطَاعَ اللاَّوِيُّونَ أَمْرَ مُوسَى. فَقُتِلَ مِنَ الشَّعْبِ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ ثَلاَثَةِ آلافِ رَجُلٍ." (٢).

ونجد آثارًا أخرى من عبادة الحيوان عند اليهود الأقدمين فى سفر الملوك الأول " ٢٦ وَحَدَّثَ يَرُبْعَامُ نَفْسَهُ قَائِلاً: «مِنَ الْمُرَجَّحِ أَنْ تَرْجِعَ الْمَمْلَكَةُ إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ، ٢٧ وَلاَسِيَّمَا إِنْ صَعِدَ الشَّعْبُ لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ فِى هَيْكَلِ الرَّبِّ فِى أُورُشَلِيمَ، فَيَمِيلُ قَلْبُهُمْ نَحْوَ سَيِّدِهِمْ رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا وَيَقْتُلُونَنِى، ثُمَّ يَلْتَفُّونَ حَوْلَهُ». ٢٨ وَبَعْدَ الْمُشَاوَرَةِ سَبَكَ الْمَلِكُ عِجْلَى ذَهَبٍ، وَقَالَ لِلشَّعْبِ: «إِنَّ الذَّهَابَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلْعِبَادَةِ يُعَرِّضُكُمْ لِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَهَا هِى آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِى أَخْرَجَتْكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ». ٢٩ وَأَقَامَ وَاحِداً فِى بَيْتِ إِيلَ وَالآخَرَ فِى دَانَ." (٣).

وحزقيال وَجَدَ فى داخل الهيكل فى أورشليم صور الحيوانات الَّتى عَبَدَها اليهود " ١٠ فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدْرَانِ، ١١ وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وَانْتَصَبَ فِى وَسَطِهِمْ يَازَنْيَا بْنُ شَافَانَ، وَفِى يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَتُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ الْبَخُورِ." (٤).

---

(١) خروج ٣٢ / ١٩ ـ ٢٠.

(٢) خروج ٣٢ / ٢٥ ـ ٢٨.

(٣) الملوك الأول ١٢: ٢٦ ـ ٢٩.

(٤) حزقيال ٨: ١٠.

وقد عَبَدَ أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد[1].

وعَبَدَ أخآب ـ ملك إسرائيل ـ البعل، والأصنام " وَغَوَى وَرَاءَ الْبَعْلِ وَسَجَدَ لَهُ. ٣٢ وَشَيَّدَ مَذْبَحاً لِلْبَعْلِ فِى مَعْبَدِ الْبَعْلِ الَّذِى بَنَاهُ فِى السَّامِرَةِ. ٣٣ وَأَقَامَ أَخْآبُ مَنْحُوتَاتِ الأَصْنَامِ، "[2] ومن لم يعبد البعل عبد العجل " ٢٨ وَاسْتَأْصَلَ يَاهُو عِبَادَةَ الْبَعْلِ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ٢٩ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ الَّتِى اسْتَغْوَى بِهَا الإِسْرَائِيلِيِّينَ وَجَعَلَهُمْ يُخْطِئُونَ، إِذْ أَبْقَى عَلَى عُجُولِ الذَّهَبِ الَّتِى فِى بَيْتِ إِيلَ وَفِى دَانَ. "[3].

وفى تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة تدلُّ على أنَّهم عبدوا الأفعى، وكان بعض اليهود يعظِّمون "بَعْل" الَّذى كان يرمز إليه بحجارة مخروطيَّة قائمة كثيرة الشَّبَه بلنجا إله الهندوس، وذلك لأنَّه فى رأيهم الجوهر الذكر فى التناسل، وزوج الأرض الَّذى يخصِّبها.

كما أنَّ آثار عبادة الآلهة الكثيرة البدائيَّة قد بقيت فى عبادة الملائكة والقديسين، وفى عبادة الأصنام الصغيرة المتنقلة الَّتى كانوا يتخذونها آلهة لبيوتهم.

كذلك ظلَّت المعتقدات السحريَّة الَّتى كانت منتشرة فى العبادات القديمة باقية عند اليهود إلى عهود متأخِّرة، ويبدو أنَّ الناس كانوا ينظرون إلى موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ على أنَّهما ساحران[4].

فى الأسفار اليهودية تتعدد صور الإله، وأسماؤه، وصفاته، وتتسم كلها بطابعين أساسيين، وهما: التناقض، والبشريَّة.

ولتوضيح ذلك:

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٣٨.
(٢) الملوك الأول ١٦: ٣١ ـ ٣٣.
(٣) الملوك الثانى ١٠: ٢٨ ـ ٢٩.
(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٣٩.

أولا: التناقض: فمن أمثلة ذلك:

❁ أسماؤه: ذكر "لله" فى الأسفار اليهودية عدَّة أسماء، وصفات، فمن أسمائه ﷻ:

١ ـ هُوَ Who : [1] هذا هو أوَّل الأسماء الَّتى يذكرونها لله، والَّتى نجدها فى أسفار اليهود، فعندما تراءى الله لموسى جرى بينهما الحوار التالى ـ بحسب الرواية الكاثوليكية ـ:

"فقال موسى لله: ها أنا ذاهب إلى بنى إسرائيل فأقول لهم: إله آبائكم أرسلنى إليكم، فإنْ قالوا لى: ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: "أنا هو من هو"، وقال: كذا تقول لبنى إسرائيل: أنا هو أرسلنى إليكم".

وفى الترجمة القديمة "أهيه الَّذى أهيه" أى أكون الَّذى أكون "وهذا الفهم للنص لا يستقيم، فليست عبارة " أكون الَّذى أكون" إجابة عن السؤال؛ لأنَّه يقول فى النص الَّذى يليه: " هذا اسمى للأبد، وهذا ذِكْرِى من جيل إلى جيل " فهل كان اسمه للأبد " أكون الَّذى أكون"وهل كان يذكر من جيل إلى جيل باسم " أكون الَّذى أكون " ؟

وقد خدعنى الكاتب والمتحدِّث الذائع الصيت جوش ماكدويل Josh McDowell ـ وهذا الخداع طبع أصيل فيهم ـ فى كتاب له من بين ٤٥ كتابا أكثرها فى اللاهوت، يحمل عنوانا مثيرا " برهان جديد يتطلَّب قرارًا ـ إجابات لأسئلة تتحدَّى المسيحيين فى القرن الحادى والعشرين "، ظننت أنَّه توصَّل إلى براهين مقنعة، أو حجج قاطعة، أو وثائق مفيدة، ولكن مع الأسف الشديد لم أجد شيئًا غير السراب، والكلام ذاته الَّذى يردِّدونه منذ ألَّهَ أجداده المسيح، وعبدوه من دون الله، يقول: " يؤمن بعض الناس أنَّ الله ليس ذاتًا مستقلَّة، بل هو جوهر، وأساس الوجود، ومثل هؤلاء يميلون لرفض الكتاب المقدَّس كإعلان الله الخاص عن ذاته،

---

(١) خروج ٣: ١٣.

ووفقًا لمعتقداتهم فلا يمكن أنْ يكون الكتاب المقدَّس وحيًا شخصيًّا عن أهيه الَّذى أهيه "[1]؛ فهو يستخدم عبارة " أهيه الَّذى أهيه " كاسم من أسماء الله تعالى.

وقد تخلَّص مترجم النص الأرثوذكسى من هذه المشكلة الشائكة فسمَّاه "الكائن" وأراح نفسه " ١٥ وَقَالَ أَيْضاً لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ الرَّبَّ «الكَائِنَ» إِلهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ. هَذَا هُوَ اسْمِى إِلَى الْأَبَدِ، وَهُوَ الاسْمُ الَّذِى أُدْعَى بِهِ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ. "[2].

ثمَّ ترجم الفقرة السابقة من سفر الخروج بقوله " ١٣ فَقَالَ مُوسَى للهِ: «حِينَمَا أُقْبِلُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ قَدْ بَعَثَنِى إِلَيْكُمْ وَسَأَلُونِى: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ ؟ » ١٤ فَأَجَابَهُ اللهُ: « أَهْيَهِ الَّذِى أَهْيَهْ» (وَمَعْنَاهُ أَنَا الْكَائِنُ الدَّائِمُ).وَأَضَافَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ: «أَهْيَهْ (أَنَا الْكَائِنُ)، هُوَ الَّذِى أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ». "[3].

والملفت للنظر أنّنا نجد أحيانا عند أهل الذكر من متصوِّفة المسلمين أنَّهم يرددون هذه الكلمة " هو، هو، هو " يتعبَّدون بها كاسم من أسماء الله تعالى.

٢ ـ إيل El: هذا هو الاسم الثانى من أسماء الإله، ومعناه القدير، وإيل هو إله السماء الخيِّر عند الساميين، عُبِدَ الإله " إيل " فى الجزيرة العربية باسم " الله "، وهو فى الآرامية " آلاها أو آلوهو " وألقابه فى نصوص أوغاريت تتفق مع صفات الله خالق الخلق، الحكيم، الملك، الطيب... ويدخل فى تركيب كثير من أسماء الآلهة، والمدن، والأعلام[4].

٣ ـ إيلوهيم Elohim: ثالث الأسماء، و من أكثرها شيوعا فى الأسفار اليهودية، وهو جمع آلوهو أو ألوها أو إيل (وفى الآراميَّة إلاه)، وهو الإله بلفظ التفخيم،

---

(١) برهان جديد يتطلَّب قرارًا ٣٤.

(٢) خروج ٣: ١٥.

(٣) خروج ٣: ١٣ ـ ١٤.

(٤) معجم الحضارات السامية ١٨٢، والمحيط الجامع ٢٠٦.

وتدل على الآلهة بلفظ الجمع ولكن المقصود بها فى جميع الترجمات من العبرية إلى اللغات الأخرى إله واحد؛ لأنَّ " ميم " الجمع هنا فى مجال التعظيم لا جمع العدد، إنَّه جمع " الجلالة " فى اللغتين العبرية والعربية، وقد تكون "الميم" علامة التنوين فى اللغات السامية[1].

٤ ـ يهوه " Yahweh " Jehovah: هذا هو الاسم الرابع من أسماء الآلهة اليهودية، وهو إله اليهود القومى الأوحد الَّذى أكسب الديانة اليهودية خصوصيَّتها الَّتى ميَّزتها بميزات خاصة من بين جميع صور الشرك المتعدِّدة الَّتى كانت تسود أرض الجزيرة[2].

كيف اهتدى اليهود إلى إلههم "يهوه" هذا، فى ذلك أقوال كثيرة، وآراء متناقضة، متناطحة، نستعرض بعضا منها:

۞ كان هذا الإله معروفا لدى الكنعانيين فهو عندهم ابن الإله " إيل "، فمن بين الآثار الَّتى وُجِدَتْ فى كنعان فى عام ١٩٣١م قِطَعٌ من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ ق.م.) عليها اسم إله كنعانى يسمَّى "ياه، أو ياهو" ويبدو أنَّ اليهود عمدوا إلى هذا الإله الكنعانى فصاغوه فى الصورة الَّتى كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهًا صارمًا، ذا نزعة حربية، صعب المراس ثم جعلوا لهذه الصفات حدودًا تبعث الرعب فى القلوب.

۞ هو إله قمرى كان يعبده المديانيون فى جنوب صحراء سيناء.

ويُقَال: إنَّ اسمه محرَّف عن " يهوب " الإله البراكانى.

وقد فنَّد الأستاذ عبد المجيد هَمُّو كذب هذا الادعاء، فلم يكن "يهوه" معروفًا فى سيناء أو فى مدين، وأنَّ سيِّدنا موسى عليه السلام لم يكن يعرف يهوه، فهو إله فارسى اختاره اليهود من بين آلهة بابل لتقوية الروابط بين الفرس واليهود، وكانوا يأملون فى أنَّ ينجح فى تخليصهم من الأسر بعد أنْ أخفق " إيل " فى حمايتهم، واشتقوا اسمه

(١) المناظرة الكبرى ٢ / ١٢٧، ما بين موسى وعزرا ٢٢٧، والمحيط الجامع ١٤٠ ـ ١٤١.
(٢) راجع: قصة الحضارة ٢ / ٣٣٩ ـ ٣٤٢، ومعجم الحضارات السامية ٩٢٩ ـ ٩٣٠.

من أهورامزدا، وياهى الإلهة المؤنثة، فصاغوه يهوه[1]، وليس صحيحا ما زعمه كنعان جورجى من أنَّ يهوه اسمًا ومفهومًا وأخلاقًا هو من ابتداع موسى واضع أوَّل ديانة تاريخية لليهود[2]؛ فهذا الرأى يناقض كلَّ ما تعارف عليه المؤرخون من أنَّ سيِّدنا موسى عليه السلام تعلَّم التوحيد من الديانة المصرية الَّتى كانت أسبق ديانات الأرض فى معرفة التوحيد، وفى الوقت نفسه فهو نبى صاحب رسالة مبعث بها من خالق السموات والأرض، ولم يكن موسى واضعًا للديانة اليهودية الَّتى هى خليط من وثنيات شعوب الهلال الخصيب فى العراق وفى فلسطين وفى مصر، وليست اليهوديَّة ديانة توحيد بإجماع المؤرخين المنصفين قديمًا وحديثًا، ولا يخدعنا اللاهوتيُّون من صهاينة اليهود والمسيحيين عن هذه الحقيقة الساطعة بادِّعاءاتهم الكاذبة المضللة.

۞ كان يهوه معروفا عند الأراميين؛ فقد عبدوا إلهًا باسم "ياو، أو يو" ويدخل فى تراكيب كثير من الأسماء.

۞ يقول الأستاذ عباس محمود العقَّاد: " إنَّ اسم يهوه لا يُعْرَفُ اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنَّه من مادَّة الحياة، ويصح أنَّه نداء لضمير الغائب "هو"، فتصبح "ياهو"[3]؛ لأنَّ موسى علَّم بنى إسرائيل أنْ يتَّقوا ذكره توقيرًا له، وأنْ يكتفوا بالإشارة إليه[4].

۞ وذهب سميث إلى أنَّ "يهوه" فى العبرية تعنى Lord فى الإنجليزية، أى "السيِّد" ولمَّا كانت اللغة العبرية تُكْتَب دون حركات حتَّى سنة ٥٠٠ م، ثم أدخلت الحركات عليها فأصبحت ياهوفاه[5].

---

(١) ما بين موسى وعزرا ٣٢، ١٨٩، ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ٢٣٦.

(٣) هذا الرأى يؤكِّد ما ذهبت إليه سابقًا من أنَّ " هو " من أسماء الله تعالى التعبديَّة، ويذكر بولس الفغالى أنَّ على إسرائيل أنْ يُقِرَّ أنَّه يهوه، أنَّه هو، أنَّه الله. انظر: المحيط الجامع ١٣٣.

(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٧٣، وما بين موسى وعزرا ٢٣٦.

(٥) ما بين موسى وعزرا ٢٣٦.

۞ ويذكر الأب اصطفان شربتيه أنَّنا لا نعرف كيف نلفظ هذه الكلمة، فقد كان اليهود يكتبون أحرفه الأربعة: الياء، والهاء، والواو، والهاء، ويقرءون "أدونای" أی: الرب، فوضع المسورون حركات أدونای على أحرف يهوه، فأصبحت "ياهوفاه"[1].

۞ ومن الباحثين من زعم أنَّ "يهوه" فى العربية اسم علم للإله الحقيقى، معناه هو الَّذى يكون، ويترجم بلفظ "الرب"، ويفسَّره البعض بأَنه الَّذى يُوجِدُ أى: الخالق، ويفسِّره آخرون بأنَّه من " هوى " فى العربية، الَّتى منها الهواء، أى: يَهُبُّ؛ فهو إله العاصفة[2].

۞ والأصل فى هذا اليهوه مبدأ "التفريد" فى الديانة البابلية القديمة.

والتفريد: Henosthéisme هو أنْ يكون لكل قبيلة ـ أو مدينة ـ إله واحد تعبده، من بين مجموعة الآلهة، من غير أنْ تنبذ عبادة الألهة الأخرى، وكان هذا المبدأ شائعا فى بابل، وعنهم أخذه اليهود فى عبادة إله خاص بهم، هو "يهوه "[3].

صفات يهوه:

١ ـ هو إله قبلى، خاص بالإسرائيليين دون غيرهم من الناس، ولا يسمح لليهود بمصاهرة الآخرين، فلا يأخذون منهم، ولا يعطونهم؛ وقد صاغوه على صورة الحبر اليهودى البائس المشرَّد فى الأسر، "ولو أنَّنا جمعنا أحطَّ صفات البشر، وأحقرها فى شخص واحد لما جسَّد عُشْرَ أعشار الانحطاط المتجرِّد فى يهوه "[4].

٢ ـ لا يرى حرجا فى البطش بجميع الشعوب غير اليهود، وقَتْلِهم بقسوة، ولا يسمح لهم بالشفقة أو بالرفق بغيرهم "وهو يرتكب فى سبيل انتصار شعبه من ضروب الوحشيَّة ما تشمئز منه نفوسنا... ويأمر شعبه بأنْ يرتكبوا هم هذه

---

(١) نفسه.

(٢) ما بين موسى وعزرا ٢٣٦.

(٣) العرب واليهود ٨١.

(٤) المصدر السابق ٢٣٧.

الوحشيَّة؛ فهو يذبح أمما بأكملها راضيًا مسرورًا من عمله رضاء جلفر Gulliver وهو يقاتل من أجل لليبيت Lilliput"[1].

ويبدو أنَّه كان إلهًا للرعد، يسكن الجبال، وحوَّله كاتبو الأسفار المنسوبة إلى "موسى" إلى إله للحرب، فأصبح يهوه فى أيديهم القويَّة إلهًا للجيوش، يدعو إلى الفتح والاستعمار، ويحارب من أجل شعبه بنفس القوَّة الَّتى يحارب بها آلهة الإليازة، وفى ذلك يقول موسى "الرب رجل حرب"، ويردِّد داود "الَّذى يعلِّم يدى القتال"، وهو فخور معجب بنفسه كالجندى، يتقبَّل الثناء، ويشتهيه، ويحرص على أنْ يتباهى بقدرته على إغراق المصريين فى البحر[2].

٣ ـ يحرِّض اليهود على سرقة الشعوب وسلبهم، وطردهم من ديارهم، والغدر بهم، ونكث العهود معهم، " ٣٥ وَطَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ آنِيَةَ فِضَّةٍ وَذَهَباً وَثِيَاباً بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. ٣٦ وَجَعَلَ الرَّبُّ الشَّعْبَ يَحْظَى بِرِضَى الْمِصْرِيِّينَ، فَأَعْطَوْهُمْ كُلَّ مَا طَلَبُوهُ، فَغَنِمُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ."[3].

٤ ـ هو إله لا يدَّعى العلم بكل شىء؛ فيطالب اليهود بأنْ يميِّزوا بيوتهم بأنْ يرشُّوها بدماء الكباش المضحَّاة لئلاَّ يهلك أبناءهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين " ١٣ أَمَّا أَنْتُمْ فَإِنَّ الدَّمَ الَّذِى عَلَى بُيُوتِكُمُ الْمُقِيمِينَ فِيهَا يَكُونُ الْعَلاَمَةَ الَّتِى تُمَيِّزُكُمْ، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ تَنْزِلُ بِكُمْ بَلِيَّةُ الْهَلاَكِ حِينَ أَبْتَلِى بِهَا أَرْضَ مِصْرَ."[4].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٤١، وهو يشير إلى قصة الكاتب الإنجليزى يونثان سويفت Jonathan Swift (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) الشهيرة "رحلات جلفر Les Voyages de Gulliver" الَّتى نشرها فى سنة ١٧٢٦ م وقد بدأ جليفر رحلاته من بلاد الأقزام " لليبيت Lilliput " حيث لا يزيد طول سكانها عن ست بوصات، وتحمَّس للدفاع عنهم ضد أعدائهم لما لمسه من ضعفهم وعجزهم فى مواجهة العمالقة. انظر: Nouveau Petit LAROUSSE , p١٤٢٧ .

(٢) القصة الحضارة ٢ / ٣٤٠.

(٣) خروج ١٢: ٣٥ـ٣٦. وانظر معجم الحضارات السامية ٩٢٩.

(٤) خروج ١٢: ١٣.

٥ ـ وإذا كان " يهوه " إلهًا جاهلا لا يدَّعى العلم، فهو أيضا لا يرى نفسه أنَّه معصوم من الخطأ، فهو يقع فى الأخطاء، ومن أكبر أخطائه ـ كما يزعم اليهود ـ أنَّه " خلق الإنسان "، ولذلك نراه يندم على فعلته بعد فوات الأوان، كما ندم على اختيار شاول ملكا[١].

٦ ـ هو من حين إلى حين شره، غضوب، متعطِّش للدماء، متقلِّب الأطوار، نزق، نكد، كثير الكلام، يحب إلقاء الخطب الطوال، معدوم الضمير؛ والأمثلة لا حصر لها فى أسفار اليهود عن موت ضميره، بل صاغه أحبار اليهود إلهًا بلا ضمير أصلا ليموت، فمن ذلك مثلا:

۞ هو يرضى عن خداع يعقوب أخاه عيسو، وسلب البركة منه.

۞ ويرضى عن ختل يعقوب خاله لابان، وغشه، ونهب ماله ومواشيه.

۞ ويرضى عن طرد الشعوب من ديارهم، وتشريدهم، ويزعج جميع الشعوب من أجل " أرانب الرب الرومية " ١٦ اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ تَجَلَّى لِي قَائِلاً: إِنِّي حَقّاً قَدْ تَفَقَّدْتُكُمْ، وَشَهِدْتُ مَا أَصَابَكُمْ فِي مِصْرَ، ١٧ وَهَا أَنَا قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ مِنْ ضِيقَةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، "[٢].

ويقول ول ديورانت عن هذا اليهوه متهكما " ضميره لا يَقِلُّ مرونة عن ضمير الأسقف الَّذى يندفع فى تيَّار السياسة... وهو حَيِيٌّ لا يسمح للناس أنْ يروا منه إلاَّ ظهره، وقصارى القول: إنَّه لم يكن للأمم القديمة إله آدميٌّ فى كلِّ شىْء كإله اليهود هذا "[٣].

وأمَّا تفسير ديورانت لإدارة يهوه ظهره للناس بأنَّه دليل حياء فلا أراه تفسيرًا

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٠.

(٢) خروج ٣: ١٦ ـ ١٧.

(٣) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٠.

صحيحًا إذْ لا علاقة للحياء بأنْ يولِّى الناسَ دُبُرَه، وإنَّما هو سلوك إله فاقد الذوق، قليل الأدب، بل هو إله مأبون.

٧ ـ هو إله فَـظٌّ، قاس، جبَّار، سفَّاح "١٢فَفِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَجْتَازُ فِى بِلاَدِ مِصْرَ وَأَقْتُلُ كُلَّ بِكْرٍ فِيهَا مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَأُجْرِى قَضَاءً عَلَى كُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا هُوَ الرَّبُّ. "[١].

وليس إجرامه قاصرًا على غير اليهود، بل إنَّه يُنْزِل باليهود أقسى أنواع العقاب؛ فبعد عبادتهم العجل الذهبى هدد بهلاكهم جميعًا لولا تضرع موسى، ودعاؤه بالصفح عنهم حتَّى لا تكون سبَّة عار فى جبين الإله " ٩ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِى هَذَا الشَّعْبِ، وَإِذَا بِهِ شَعْبٌ عَنِيدٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ. ١٠ وَالآنَ دَعْنِى وَغَضَبِى الْمُحْتَدِمَ فَأُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ أَجْعَلَكَ أُمَّةً شَعْباً عَظِيماً». ١١ فَابْتَهَلَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «لِمَاذَا يَحْتَدِمُ غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِى أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذِرَاعٍ مُقْتَدِرَةٍ؟ ١٢ لِمَاذَا يَشْمَتُ الْمِصْرِيُّونَ فِينَا قَائِلِينَ: لَقَدِ احْتَالَ عَلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ هَهُنَا لِيُهْلِكَهُمْ فِى الْجِبَالِ وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ وَلاَ تُوْقِعْ هَذَا الْعِقَابَ بِشَعْبِكَ. "[٢].

ولَّما بدأ اليهود يزنون مع بنات موآب، وعبادة بَعْل فغور قال لموسى: "«خُذْ جَمِيعَ قَادَةِ عَبَـدَةِ الْبَعْلِ وَاصْلِبْهُمْ، وَعَلِّقْهُمْ تَحْتَ وَطْأَةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ أَمَامَ الرَّبِّ، فَتَرْتَدَّ شِدَّةُ غَضَبِهِ عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ». ٥ فَقَالَ مُوسَى لِقُضَاةِ إِسْرَائِيلَ: «اقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ قَوْمِكُمْ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِعِبَادَةِ بَعْلِ فَغُورَ».[٣] " وتلك هى أخلاق أشور بانيبال، وأشور[٤].

٨ ـ وهو يعرض رحمته على الَّذين يحبُّونه ويتَّبعون أوامره، ولكنه يفعل ما تفعله

---

(١) خروج ١٢: ١٢.
(٢) خروج ٣٢: ٩ ـ ١٢.
(٣) عدد ٣: ٤ ـ ٥.
(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٤١.

جراثيم الأوبئة الفتَّاكة، وإنَّ اللعنات الَّتى يهدد بها يهوه شعبه المختار إذا ما عصى أوامره لجديرة بأنْ تكون نماذج فى القدح والسب تحتذى، ولعلَّها هى الَّتى أوحت إلى الَّذين أحرقوا الكفرة فى محاكم التفتيش الأسبانية، أو الَّذين حكموا على إسبينوزا بالحرمان أنْ يفعلوا ما فعلوا[1]، وهى مدرسة رائعة لتعليم سيِّدات بولاق أصول " الرَّدْحِ، والشرشحة، وفرش الملاءة "، ومن أراد أنْ يتأكَّد من ذلك فليقرأ الفقرة الَّتى عنوانها " لعنات العصيان "[2]؛ لتتضح له هذه الصفة البولاقية فى إلههم السبَّاب اللَّعَّان؛ فهو يصب اللعنات على المدن والقرى، وعلى الشعوب والأفراد، وعلى الحيوان والنبات، ويتوعَّدهم بفنون الإبادة، وأنواع الأمراض، وصنوف الإعاقات والعيوب، وكلَّ ما يمكن أنْ يجرى على لسان شيطان رجيم، أو يخطر بفكر إبليس اللعين.

٩ ـ يقبل يهوه أنْ يكون معه آلهة كُثُرٌ بشرط أنْ يكون هو المقدَّم عليهم وأنْ تكون له الرئاسة عليهم، ففى الوصيَّة الأولى يقول يهوه موجِّها حديثه لموسى " ٦ أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِى حَرَّرَكَ مِنْ سِجْنِ الْعُبُودِيَّةِ فِى دِيَارِ مِصْرَ. ٧ لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِى. ٨ لاَ تَنْحَتْ لَكَ تِمْثَالاً، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِى السَّمَاءِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَمَا فِى الْمَاءِ تَحْتَ الأَرْضِ. ٩ لاَ تَسْجُدْ لَهَا وَلاَ تَعْبُدْهَا، لأَنِّى أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَهٌ غَيُورٌ، "[3].

ويخبرنا موسى هذا الخبر " ٢٣ وَتَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ فِى ذَلِكَ الْحِينِ قَائِلاً: ٢٤ يَاسَيِّدُ هَا أَنْتَ قَدِ ابْتَدَأْتَ تُعْلِنُ لِعَبْدِكَ عَظَمَتَكَ وَقُوَّةَ قُدْرَتِكَ فَأَى إِلَهٍ فِى السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ يُجْرِى مِثْلَ أَعْمَالِكَ وَجَبَرُوتِكَ. "[4].

الهيكل: هو قدس الأقداس لإله اليهود القومى، وهو أنسب الأماكن لعبادة مثل هذا الإله الردىء، يقول عنه ول ديورانت: هو بيت يهوه، ومركز روحانى لليهود، وعاصمة لملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذِكْرَى لهم، يتراءى لهم طوال جولانهم

---

(١) المصدر السابق ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) عدد ٧٨: ١٥ ـ ٦٨.

(٣) تثنية ٥: ٦ ـ ٩.

(٤) تثنية ٣: ٢٣ ـ ٢٤.

الطويل المدى على ظهر الأرض وفوق ذلك رفع الدين اليهودى من دين بُدَاة متعدد الآلهة إلى عقيدة راسخة، غير متسامحة[١].

ويشير ول ديورانت إلى أنَّ الزِّنَا واللواط كانا منتشرين بين اليهود وكانت العاهرات الأجنبيات: السوريَّات، والمؤابيات، والمديانيات... وغيرهن ينتشرن فى الطرق العامة، فى مواخير وخيام، وسرعان ما تضاعف عددهن فى عهد سليمان، وسكنَّ فى أورشليم حتَّى كان الهيكل نفسه أيَّام المكَّابيين ماخورًا للفسق والفجور[٢].

٥ ـ قد يذكرون إلههم بصفة من صفاته، كقولهم:

۞ ـ " إيل شَدَاى " ومعناه القدير، أو الإله الرفيع[٣].

۞ ـ " إيل عليون " ومعناه العلى، خالق السموات والأرض، وزعموا أنَّه الإله الَّذى عبده سيِّدنا إبراهيم ﷺ، وملكيصادق، وأنَّه كان معروفًا عند الآراميين والكنعانيين، وكلُّ هذه الأسماء ترجع أصولها إلى اللغة العروبية الأولى[٤].

٦ ـ أدونى أو أدوناى أو أدنيه ـ ومعناه السيِّد أو الربّ ـ باللغة العبرية وهو الإله الَّذى عبده سيِّدنا موسى ـ بزعمهم ـ بوصفه الإله الواحد رب جميع الناس، وخالق جميع ما فى السموات وما فى الأرض.

ويرى كثير من علماء الأديان المقارنة أنَّ "آتون" الإله المصرى القديم، و"أدونيس" الإله اليونانى، و"أدوناى" ما هى إلاَّ أسماء عدَّة ترجع إلى مصدرها المصرى القديم[٥].

وزعم بولس الفغالى أنَّ التشُّدد فى صورة تسامى "الله" دفع اليهود فى

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٣٨

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٣٧٨.

(٣) المحيط الجامع ٧٠١.

(٤) المصدر السابق ٢٠٨.

(٥) راجع: د / أحمد سوسة العرب واليهود ٩٧٦، وحياة المسيح ص ٧٤.

"السبعينية، والتراجيم " إلى أنْ يُبْعِدُوا كُلَّ ما هو أنتروبومورفى Anthropomorphe وتشبيهى من نص التوراة وخاف اليهود أنْ يُنَجِّسُوا الاسم الإلهى ـ ومن المؤكَّد أنَّ ذكره على ألسنة هذه الفئة الوثنية ينجسه ـ فتجنَّبوا أنْ يلفظوا بيهوه، وأحلُّوا محلَّه لقب "أدونای"، وبعد هذا تجنَّبوا أنْ يدلُّوا على "الله" بطريقة مباشرة؛ فاستعملوا ألفاظًا أخرى مثل: السماء، السيِّد، القدُّوس، العلىّ، الآب، الآب السماوى، الاسم، المقام، السكنى أو الحضور (شكينه)، القدرة، الكلمة...[1].

ثانيا: الصفات البشرية:

فإلههم فى سلوكه، وأفعاله، وقدراته شخص عاديٌّ تماما من البشر، لا يمتاز منهم بشىء، ولعل هذه الصفات البشرية للإله اليهودى أثر من آثار الوثنيات الشرقية واليونانية؛ فمن المعروف عند نقَّاد الأدب القديم أنَّ الشاعر الكبير سوفوكل Sophocle (ت ٤٠٥ ق. م.) أول من أنزل الآلة من عليائها، وقدَّمها كشخوص لهم صفات بشرية، كما كان الشاعر اليونانى الكوميدى أرستوفان Aristophane (ت ٣٨٦ ق. م.) دائم السخرية من الآلهة، والاستهزاء بهم.

ويقول جى راشيه فى مقدمة كتابه: " ولنْ أكرر قولاً معادا ـ إنْ مدَّ الله فى أجلى ـ لأنَّى أعتقد أنَّه بافتراض وجوده فلن يتأخر فى مد أجلى ـ أو بالأحرى ـ منحى هذه الحياة اللازمة لإتمام هذه المهمَّة على أكمل وجه؛ لأنَّه يعلم أنَّنى ـ وأنا أهاجم تلك الأفكار الَّتى رسخت فى أذهان كثير من "المؤمنين" عن ذاته ـ فأنا لا أتصدَّى إلاَّ للدفاع عن ذاته الحقيقية الَّتى لا تقوم الديانات ـ أيًّا كانت ـ إلاَّ بالحط من قدرها، وصبغها بالصبغة الإنسانية إلى حدِّ إعادة تشكيلها على صورتهم الَّتى لا تسرُّ الناظرين."[2].

وهذه بعض الأمثلة على تجسيم الإله فى صفات البشر وأخلاقهم:

❁ أبناء الله: سبق أنْ ذكرنا أنَّ فى الشريعة الخطيَّة الآلاف من أبناء الله، وفى كل

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٧٣، والمحيط الجامع ١٣٥.

(٢) La Bible mythe et réalités. p ١١.

موضع منها نفاجأ بمعنى للَّفظ يخالف ما عرفنا من معناه فى موضع آخر، ولنقرأ معا الأمثلة الآتية:

۞ "١ وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢ انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ الله إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. ٣ فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِي زَائِغٌ،لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ». ٤ وَفِي تِلْكَ الْحِقَبِ، كَانَ فِي الأَرْضِ جَبَابِرَةٌ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَبْنَاءُ الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَلَدْنَ لَهُمْ أَبْنَاءً، صَارَ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءُ أَنْفُسُهُمُ الْجَبَابِرَةَ الْمَشْهُورِينَ مُنْذُ الْقِدَمِ."[1].

والترجمة الكاثوليكية للفقرة السابقة لا تختلف كثيرا عن هذه الألفاظ فى المعنى، ويقول شارح السفر: يعود المؤلف إلى أسطورة شعبية عن جبابرة يقال: إنَّهم وُلِدُوا من زواج بين كائنات بشريَّة وكائنات سماوية، وهو لا يبدى رأيه فى قيمة هذا الاعتقاد، ويخفى وجهه الأسطورى، فيقتصر على التذكير بهذا الجنس الوقح من الجبابرة، كمثل للفساد المتزايد الَّذى سوف يسبِّب الطوفان.

اليهوديَّة اللاحقة وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريبا رأوا فى"بنى الله" هؤلاء ملائكة مذنبين، لكنَّ آباء الكنيسة منذ القرن الرابع فسَّروا جميعهم "بنى الله" ببنى شيث، و"بنات الناس" بذرية قاين ".

ولا علاقة للنص بهذا الشرح، فالحقيقة أنَّ النص وثنى أسطورى، من ثراث الشرق والغرب على السواء، فزواج الآلهة بالبشر أو العكس لإنجاب أبناء أقوياء، لا يُهْزَمُون فى الحروب، له نظائر فى الإلياذة، والأوديسة، والشاهنامة، وملحمة جلجمش، وغيرها، ثمَّ إنَّ أبناء شيث وذريَّة قاين جميعهم بشر من أحفاد آدم، وأولادهم سيكونون مثلهم فى الإنسانية والضعف، ولن يكونوا أبدا " جبابرة ".

---

(١) تكوين ٦: ١ ـ ٤، والشرح المشار إليه طبعة دار المشرق بيروت.

❁ ولقى سيِّدنا إبراهيم ملكى صادق " ١٨ وَكَذَلِكَ حَمَلَ إِلَيْهِ مَلْكِى صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ، الَّذِى كَانَ كَاهِناً للهِ الْعَلِى، خُبْزاً وَخَمْراً، "[١].

ويقول الشارح: وقد ذهب بعض الآباء إلى القول بأنّ ابن الله نفسه قد ظهر فى ملكيصادق، ومن الغريب أنَّ شاول اليهودى ـ الَّذى يدعوه المسيحيُّون " القديس بولس " ـ فى الرسالة إلى العبرانيين المنسوبة إليه أو إلى واحد من تلاميذه يرفع ملكيصادق إلى درجة الألوهية؛ فهو المولود من غير أب ومن غير أم، وهو الأوَّل والآخر، وهو الحىَّ الباقى الَّذى قدَّم له اللاوى العشور قبل أنْ يولد، فهو أرفع قدرًا من أبى الأنبياء إبراهيم، وأعلى شأنا من المسيح عيسى ابن مريم، وأرجو من القارئ إبراهيم، وأعلى شأنا من المسيح عيسى ابن مريم، وأرجو من القارئ الكريم أنْ يقـرأ هذه الرسالة إلى العبرانيين ليستخرج منها كميَّة لا حدود لها من الكفر والضلال وفساد العقيدة وسوء الأدب مع الخالق العظيم، وأنبيائه المكرَّمين، وسأكتفى هنا ببعض العبارات منها "[٢].

"... فَمِنْ جِهَةٍ، يَعْنِى اسْمُ مَلْكِيصَادَقَ «مَلِكَ الْعَدْلِ». وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، كَانَ لَقَبُهُ «مَلِكَ سَالِيمَ» أَى «مَلِكَ السَّلاَمِ». ٣ وَالْوَحْى لاَ يَذْكُرُ لَهُ أَباً وَلاَ أُمّاً وَلاَ نَسَباً، كَمَا لاَ يَذْكُرُ شَيْئاً عَنْ وِلاَدَتِهِ أَوْ مَوْتِهِ. وَذَلِكَ لِكَى يَصِحَّ اعْتِبَارُهُ رَمْزاً لابْنِ الله، بِوَصْفِهِ كَاهِناً إِلَى الأَبَدِ. ٤ لِنَتَأَمَّلِ الآنَ كَمْ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ عَظِيماً. فَحَتَّى إِبْرَاهِيمُ، جَدُّنَا الأَكْبَرُ، أَدَّى لَهُ عُشْراً مِنْ غَنَائِمِهِ... ٧ إِذَنْ، لاَ خِلاَفَ أَنَّ مَلْكِيصَادَقَ أَعْظَمُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلاَّ فَمَا كَانَ قَدْ بَارَكَهُ! أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكَهَنَةَ الْمُتَحَدِّرِينَ مِنْ نَسْلِ لاَوِى، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ العُشُورَ بِمُوجِبِ الشَّرِيعَةِ، هُمْ بَشَرٌ يَمُوتُونَ. أَمَّا مَلْكِيصَادَقُ، الَّذِى أَخَذَ الْعُشُورَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، فَمَشْهُودٌ لَهُ بِأَنَّهُ حَى. ٩وَلَوْ جَازَ الْقَوْلُ، لَقُلْنَا: حَتَّى لاَوِى، الَّذِى يَأْخُذُ نَسْلُهُ الْعُشُورَ، هُوَ أَيْضاً قَدْ أَدَّى الْعُشُورَ لِلْكِيصَادَقَ مِنْ خِلاَلِ إِبْرَاهِيمَ. ١٠ فَمَعَ أَنَّ لاَوِى لَمْ يَكُنْ قَدْ وُلِدَ بَعْدُ، فَإِنَّهُ كَانَ مَوْجُوداً فِى صُلْبِ جَدِّهِ

---

(١) تكوين ١٤: ١٨.

(٢) راجع رسالة إلى العبرانيين، الإصحاح السابع.

إِبْرَاهِيمَ، عِنْدَمَا لاَقَاهُ مَلْكِيصَادَقُ... ١٣ فَالْمَسِيحُ، رَئِيسُ كَهَنَتِنَا، لَمْ يَكُنْ مِنْ سِبْطِ لاَوِى... ١٥ وَمِمَّا يَزِيدُ الأَمْرَ وُضُوحاً، أَنَّ الْكَاهِنَ الْجَدِيدَ، الشَّبِيهَ بِمَلْكِيصَادَقَ،١٦ لَمْ يُعَيَّنْ كَاهِناً عَلَى أَسَاسِ الشَّرِيعَةِ الَّتِى تُوصِى بِضَرُورَةِ الانْتِمَاءِ إِلَى نَسْلٍ بَشَرِى مُعَيَّنٍ، بَلْ عَلَى أَسَاسِ الْقُوَّةِ النَّابِعَةِ مِنْ حَيَاتِهِ الَّتِى لاَ تَزُولُ أَبداً. ١٧ ذَلِكَ لأَنَّ الْوَحْى يَشْهَدُ لَهُ قَائِلاً: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِيصَادَقَ!»... هَذَا الْقَسَمُ وَاضِحٌ فِى قَوْلِ الله: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَتَرَاجَعَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ...» ٢٢ فَعَلَى أَسَاسِ ذَلِكَ الْقَسَمِ، صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ!.. ٢٦ نَعَمْ، هَذَا هُوَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الَّذِى كُنَّا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ. إِنَّهُ قُدُّوسٌ، لاَ عَيْبَةَ فِيهِ، وَلاَ نَجَاسَةَ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخَاطِئِينَ، وَارْتَفَعَ حَتَّى صَارَ أَسْمَى مِنَ السَّمَوَاتِ!!! وَذَلِكَ لأَنَّهُ كَفَّرَ عَنْ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً، حِينَ قَدَّمَ نَفْسَهُ عَنْهُمْ. ٢٨ إِذَنْ، كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تُعَيِّنُ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ الضُّعَفَاءِ. أَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ، الَّتِى جَاءَتْ بَعْدَ الشَّرِيعَةِ، فَقَدْ عَيَّنَتِ ابْنَ الله، الْمُؤَهَّلَ تَمَاماً لِمُهِمَّتِهِ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ! "[1].

❊ وخرجت سارة غاضبة " ٧ فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ فِى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى شُورٍ. ٨ فَقَالَ: «يَاهَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَاى، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَأَجَابَتْ: «إِنَّنِى هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ سَيِّدَتِى سَارَايَ». ٩ فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «عُودِى إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِى لَهَا». ١٠ وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى»، ١١وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ:«هُوَذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ"[2].

ويقول الشارح: ليس ملاك الرب، أو ملاك الله فى النصوص القديمة ملاكا مخلوقا يختلف عن الله، بل هو الله نفسه ـ حاشا لله، ولعنة الله على هذا الكاذب ـ بالشكل المنظور الَّذى يظهر فيه للبشر.

---

(١) رسالة إلى العبرانيين ٧: ٢ ـ ٢٨.

(٢) تكوين ١٦: ٧ ـ ١١.

❁ الإله ينسى: النسيان من صفات إلههم، ويضع علامات تذكِّره بما نسى !!!، فقد عقد ميثاقًا مع سيِّدنا نوح، وخشى أنْ ينسى هذا الميثاق فجعل له علامات تذكِّره بموثقه " ١١ أُبْرِمُ مِيثَاقِى مَعَكُمْ بِأَنْ لاَ يُبِيدَ الطُّوفَانُ كُلَّ ذِى جَسَدٍ ثَانِيَةً، وَأَنْ لاَ يَكُونَ هُنَاكَ طُوفَانٌ لِيَقْضِى عَلَى الْحَيَاةِ فِى الأَرْضِ». ١٢ وَقَالَ الرَّبُّ: «وَهَذِهِ هِى عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الأَبَدِى الَّذِى أُقِيمُهُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِى مَعَكُمْ: ١٣ أَضَعُ قَوْسِى فِى السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِى وَبَيْنَ الأَرْضِ. ١٤ فَيَكُونُ عِنْدَمَا أُخَيِّمُ بِالسَّحَابِ فَوْقَ الأَرْضِ، وَتَظْهَرُ الْقَوْسُ، ١٥ أَنِّى أَذْكُرُ مِيثَاقِى الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ ذَوَاتِ الْجَسَدِ، فَلاَ تَتَحَوَّلُ الْمِيَاهُ إِلَى طُوفَانٍ يُبِيدُ كُلَّ حَيَاةٍ. ١٦ وَتَكُونُ الْقَوْسُ فِى السَّحَابِ، فَأُبْصِرُهَا، وَأَذْكُرُ الْمِيثَاقَ الأَبَدِى الْمُبْرَمَ بَيْنِى وَبَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الأَرْضِ». ١٧ وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «هَذِهِ هِى عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِى أَبْرَمْتُهُ بَيْنِى وَبَيْنَ كُلِّ حَى عَلَى الأَرْضِ»."[1].

وإنَّ أخشى ما نخشاه أنْ ينسى الله ﷻ أنْ يمسك السماء أنْ تقع على الأرض، فيهلك الكون، أو أنْ ينسى أرزاق عباده فيموتوا جوعا، ولا ندرى ما العلامات الَّتى وضعها لتذكِّره بما قد ينساه من هذه المهام العظام الَّتى اقتضتها حكمته ﷻ فنصطنعها نحن لتذكيره بنا وبافتقارنا إليه.

❁ الرؤية والنظر: وأمثلتها لا حصر لها فى الأسفار اليهودية، وتتناقض الأحكام فيها؛ فمن يرى الله، أو يلمس تابوت العهد، أو ينظر فيه يموت، وإذا كنَّا على ثقة من أنَّ الله تعالى يجلَّ عن الرؤية المباشرة، وبالرغم من أنَّهم ناقضوا أنفسهم فى أكثر ما ذكروه بالنسبة لهذه الرؤية فجميع من رأوا الله بزعمهم لم يموتوا، بل إنَّ سيِّدنا يعقوب ﷺ ظلَّ ليلة كاملة من أوَّلها حتَّى مطلع الفجر وهو يصارعه، ويمسح به الأرض، مع ذلك عاش بعد المصارعة عشرات السنين.

والعجب فى تابوت عهدهم، وهم يذكرون أنَّهم كانوا ينقلونه من مكان إلى

---

(١) تكوين ٩: ١١ ـ ١٧.

مكان، وأنَّه كان يتقدَّمهم فى المعارك ـ فكيف كان يتم هذا النقل دون أنْ يلمسه أحد؟ أكان يسير وحده ؟[1].

ونذكر هنا قليلاً من الأمثلة على رؤية الله بزعمهم:

۞ لَمَّا كلَّم الله موسى ﷺ " ٦ ثُمَّ قَالَ: «أَنَا هُوَ إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَهُ إِسْحقَ، وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». عِنْدَئِذٍ غَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَرَى اللهَ (فَيَمُوتَ)"، وعبارة الترجمة الكاثوليكية " فستر موسى وجهه لأنَّه خاف أنْ ينظر إلى الله "[2].

وفى الحاشية " الله سام حتَّى إنَّ الخليقة لا تستطيع أنْ تراه، وتبقى على قيد الحياة، وتكرر هذا المعنى فى أكثر من حاشية، انظر مثلا:

الحاشية رقم (٦) " سفر التكوين ٣٢: ٣١ " والَّتى جاء فيها: " لا تخلو رؤية الله مباشرة من الخطر على الإنسان، فخروجه منها سالما لدليل على نيل حظوة إلهية خاصة "...

وسرعان ما نسى مؤلِّف هذا السفر قوله، وزعم أنَّ موسى كان يكلِّم الله وجهًا لوجه: " وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا إِلَى وَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الْمَرْءُ صَدِيقَهُ "[3]، وفى هذه الحالة وجب أنْ يجعل الله موسى إلهًا، فأرسله إلى فرعون بهذه الصفة، وجعل أخاه هارون هو النبى لهذا الإله البشرى: " ١٦ فَيُخَاطِبُ هُوَ الشَّعْبَ عَنْكَ وَيَكُونُ لَكَ بِمَثَابَةِ فَم وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ بِمَثَابَةِ إِلَهٍ." [4]، ويكرِّر هذا المعنى: " ١ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَنَا جَعَلْتُكَ كإِلَهٍ لِفِرْعَوْنَ، وَهَرُونُ أَخُوكَ يَكُونُ كَنَبِى لَكَ. "[5].

---

(١) وزعموا أنَّ سبعين رجلا ماتوا لأنَّ أهلهم نظروا إلى ما بداخل تابوت الرب.
صموئيل الأول ٦: ١٩.
(٢) خروج ٣: ٦.
(٣) خروج ٣٣: ١١ ص ٢١١.
(٤) خروج ٤: ١٦.
(٥) خروج ٧: ١.

❁ نجد فى الأسفار اليهوديَّة أنَّ الله تراءى لجميع الأنبياء، بدون استثناء، وكلَّمهم، بل إنَّه نزل يخاطب غير الأنبياء من البشر " ٢٠ فَتَرَاءَى اللهُ لِبَلْعَامَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: «إِنْ جَاءَ الرِّجَالُ يَسْتَدْعُونَكَ فَقُمْ وَامْضِ مَعَهُمْ، إِنَّمَا لاَ تَنْطِقْ إِلاَّ بِمَا آمُرُكَ بِهِ فَقَطْ». "[1].

❁ التفرقة فى المعاملة بين الناس: فإلههم لم يكتف بتفضيل اليهود على البشر، بل يتخذ من التفرقة فى المعاملة سنَّة يتبعها فى جميع الأحوال، فمثلا: يفضِّل أصغر الأبناء على أكبرهم، ومن أمثلة ذلك:

❁ إسحاق مفضَّل على إسماعيل.

❁ يعقوب مفضَّل على عيسو.

❁ راحيل مفضَّلة على لَيْئة....

❁ والتفرقة موجودة فى أبناء نوح ﷺ؛ فسام ـ الأكبر ـ مفضل على حام ـ الأصغر ـ والسؤال: لماذا فُضِّل الأكبر هنا على الأصغر خلافا للمبدأ المعمول به عندهم؟ ربَّما لأنَّ جدَّهم الأعلى يجب أنْ يكون له حق البكورة، وأنْ يكون مقدَّما على غيره يأمرهم فيطيعون.

❁ الحوار والجدل: فإلههم محاور مجيد، يحب الجدل والخصام، فمثلا:

❁ فى الترجمة السابقة لأسفار اليهوديَّة " استمع أيها السيِّد، أرسل بيد من ترسل، فحمى غضب الرب على موسى " والنص فى الترجمة الَّتى أمامى " ١٣ لَكِنَّ مُوسَى أَجَابَ: «يَاسَيِّدُ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُرْسِلَ مَنْ تَشَاءُ غَيْرِي». ١٤ فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى ".

وفى الترجمة الكاثوليكية " العفو يارب، أرسل من تريد أنْ ترسله فاتَّقد غضب الربِّ على موسى "[2].

---

(١) عدد ٢٢: ٢٠.

(٢) خروج ٤: ١٣.

❁ الصراع والعراك: أليس غريبًا أنْ يجعل الله عقله مثل عقل واحد من خلقه؛ فيصارعه ن ومن أمثلة ذلك:

❁ فى قصة سيِّدنا يعقوب ﷺ بعد أنْ عبرت أسرته مخاضة يَبُّوق "وَبَقِىَ يَعْقوبُ وَحْدَهُ، فَصَارَعَهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَرَأى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَلَمَسَ حُقَّ وَرِكِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ وَرِكِ يَعْقُوبَ فِى مُصَارَعَتِهِ لَهُ، وَقَالَ: اصْرِفْنِى؛ لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ يَعْقُوبُ: لاَ أُصْرِفُكَ أَوْ تُبَارِكَنِى فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ: يَعْقُوبُ، قَالَ: لاَ يَكونُ اسْمُكَ يَعْقُوبَ فِيمَا بَعْدُ، بَلْ إِسْرَائِيلُ، لأَنَّكَ صَارَعْتَ اللهَ وَالنَّاسَ فَغَلَبْتَ"(١).

❁ الجوع والشبع: وإلههم باعتباره كالبشر، فلا بدَّ أنَّه يجوع ويشبع، ويظمأ ويروى، ولا بدَّ أنَّه كان يتوارى عن الأنظار ليخرج فضلات طعامه، ومن أمثلة ذلك:

❁ " ثُمَّ ظَهَرَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَقْتَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَارِ، ٢ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَإِذَا بِهِ يَرَى ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مَاثِلِينَ لَدَيْهِ. فَأَسْرَعَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ. ٣ وَقَالَ: «يَاسَيِّدِى، إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيْتُ بِرِضَاكَ فَلاَ تَعْبُرْ عَنْ عَبْدِكَ. ٤ بَلْ دَعْنِى أُقَدِّمُ لَكُمْ بَعْضَ مَاءٍ تَغْسِلُونَ بِهِ أَرْجُلَكُمْ وَتَتَّكِئُونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، ٥ ثُمَّ آتِى لَكُمْ بِلُقْمَةِ خُبْزٍ تُسْنِدُونَ بِهَا قُلُوبَكُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُوَاصِلُونَ مَسِيرَتَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ مِلْتُمْ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمْ». فَأَجَابُوهُ: «حَسَناً، لِيَكُنْ كَمَا قُلْتَ»."(٢).

ويقول شارح هذه العبارة فى الترجمة الكاثوليكيَّة: " تقصُّ علينا هذه الرواية فى تحريرها النهائى ظهورا للرب، يرافقه رجلان هما ملاكان.. ويتكرر النص فى عدَّة آيات بين المفرد والجمع، والرجال الثلاثة الَّذين يخاطبهم إبراهيم بالمفرد قد رأى فيهم كثير من آباء الكنيسة إعلانا عن سر الثالوث الَّذى لم يكشف إلاَّ فى العهد الجديد ".

---

(١) تكوين ٣٢: ٢٥ ـ ٣٠، وانظر تعليقنا على هذا النص فى فصل قراءات نقدية.

(٢) تكوين ١٨: ١.

لم يفطن هذا الشارح العبقريِّ إلى أنَّه بهذا التفسير الخاطئ للنص يفتح بابا واسعا للشرك بالله وللوثنيَّة الصريحة؛ لأنَّ سيِّدنا إبراهيم كما يستقبل ثلاثة أضياف يمكن أنْ يستقبل عددا أكثر، فصورة الرب بين رجلين ـ لعلهما حرسه الخاص، أو من أفراد حاشيته ـ هو إعلان عن سر الثالوث، فلو كان عددهم أكثر من ذلك أو أقل، أربعة مثلا أيكون هذا إعلانا عن سر الرابوع أو الخاموس... أو ما شاء الله ؟

❁ الفضول وحب الاستطلاع: قد يدفعه الفضول إلى رؤية ما يصنعه الآخرون، فمثلا: لَمَّا بُنِيت مدينة بابل والبرج " ٥ وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا. "(١).

❁ الجهل بالغيب: فإلههم تغيب عنه الأشياء والأشخاص، فيسأل عمَّا لا يعرف: وقد سبق أنْ ذكرت أمثلة كثيرة لهذه الصفة، وهى تبدأ من أوَّل قصيدة الكفر عندما استتر آدم وزوجه من وجه الرب.

❁ التمثيل والتشخيص: فقد أعطوا إلههم كل الصفات البشرية، منها:

❁ إلههم رجل صاحب مزاج، وأكثر ما يسعده أنْ يكوِّن أنبياؤه فرقة موسيقية تعزف له، وتغنِّى " فَتُصَادِفُكَ عِنْدَ مَدْخَلِ جِبْعَةَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَازِلِينَ مِنَ التَّلِّ يَعْزِفُونَ عَلَى الرَّبَابِ وَالدُّفِّ وَالنَّاىِ وَالْعُودِ وَهُمْ يَتَنَبَّأُونَ، "(٢).

❁ أكثر ما تكون صورته صورة رجل ثرثار، يتحدَّث عن أفعاله حديث البشر؛ فهو لا يعلم عن بعد، بل عليه أنْ يقترب ليرى ويعلـم: " ٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مُعَانَاتَهُمْ، ٨ فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَحِيبَةٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَالْحِثِّيِّينَ، وَالأَمُورِيِّينَ، وَالْفَرِزِّيِّينَ،وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. "(٣).

---

(١) تكوين ١١: ٥.

(٢) صموئيل الأول ١٠: ٥.

(٣) خروج ٣: ٨ ـ ٩.

❁ وهو أيضا ثقيل السمع؛ فهو لا يسمع إلاَّ من قريب " ٢٠ وَقَالَ الرَّبُّ: «لأَنَّ الشَّكْوَى ضِدَّ مَظَالِمِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَتْ وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدّاً ٢١ أَنْزِلُ لأَرَى إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُطَابِقَةً لِلشَّكْوَى ضِدَّهُمْ وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ». "[1].

❁ وقد تكون صورته صورة ملاك، دون أنَّ تتضح لنا صورة الملاك هذه كيف تكون، فعندما هربت هاجر من إذلال سيدتها سارای لها " ٧ فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى شُورٍ. ٨ فَقَالَ: «يَاهَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَأَجَابَتْ: «إِنَّنِي هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ سَيِّدَتِي سَارَايَ». "[2].

ويقول الشارح: " ليس ملاك الرب، أو ملاك الله فى النصوص القديمة ملاكا مخلوقا يختلف عن الله، بل هو الله نفسه بالشكل المنظور الَّذى يظهر فيه للبشر... ونرى أنَّ ملاك الرب فى غيرها من النصوص هو الَّذى ينفِّذ الانتقام ".

❁ الكذب والاحتيال:

وفى تقليدهم الجرأة على الله تعالى؛ فيتهمونه بالكذب إذْ يقول لآدم:

" وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، فَإِنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا تَمُوتُ مَوْتًا "، بينما يصدق الشيطان فى قوله لزوج آدم: " مَوْتًا لاَ تَمُوتَانِ فَاللهُ عَالِمٌ أَنَّكُمَا فِي يَوْمٍ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا "[3].

لذلك لَّما أكلا من الشجرة، لم يموتا، وعرفا أنَّهما عريانان.

وهو لا يكذب فقط بل يخادع أيضا " ١٠ عِنْدَئِذٍ قُلْتُ: «آهِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، حَقّاً إِنَّكَ خَدَعْتَ هَذَا الشَّعْبَ، وَأَوْهَمْتَ أَهْلَ أُورُشَلِيمَ قَائِلاً: سَيَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ، وَهَا السَّيْفُ قَدْ بَلَغَ حَدَّ النَّفْسِ. "[4].

---

(١) تكوين ١٨: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) تكوين ١٦: ٧ ـ ٨.

(٣) تكوين ٢: ١٧، ٣: ٤.

(٤) إرميا ٤ / ١٠.

❁ خروجه على قانون البشر:

وهو إله ظالم، جان، مجرم، وتجب محاكمته، ويقسم رافعًا يده " ٢٩ إِذْ تَتَسَاقَطُ جُثَثُكُمْ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ، مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَمَا فَوْقُ مِمَّنْ تَمَّ إِحْصَاؤُهُمْ وَتَذَمَّرُوا عَلَيَّ. ٣٠ لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي وَعَدْتُ رَافِعاً يَدِي بِقَسَمٍ أَنْ أُسْكِنَكُمْ فِيهَا، "[١].

ويقال: إنَّه قد ظهر فى القرن الثانى الميلادى تلميذ شهير لبولس، اسمه مرقيون Marcion[٢]، كان يعتقد أنَّ إله اليهود الذى أعطى الناموس لموسى، وخالق العالم كان شريراً، وأما إله المحبة فقد ظهر فى المسيح، وهو معارض تماماً لخالق العالم، ويتصور مرقيون محاكمة من المسيح لخالق العالم[٣].

كم عدد الآلهة الَّتى عبدها اليهود ؟

سبق القول بأنَّ اليهود لم يعرفوا التوحيد فى تاريخهم كله؛ فقد عبدوا آلهة كثيرة، ولن تعثر على سفر واحد من أسفارهم يخلو من تأنيبهم على خيانة عهد الله، وعبادتهم الأوثان، ووعيد الله لهم بأقسى أنواع العقاب، " وقلَّما كان اليهود قبل أشعيا يفكِّرون فى أنَّ يهوه إله الأسباط جميعا، أو حتَّى إله العبرانيين جميعا، فقد كان للمؤآبيين إلههم شمش، وكان نعومى يظن أنْ لا ضير من أنْ يظلَّ راعوث على ولائه له، وكان بلزبوب إله عكرون، وملكرم إله عمون... ولم يكن جميع اليهود ـ اللهم إلاَّ أعظمهم علما ـ يعدُّون تموز إلها حقًّا فحسب، بل إنَّ عبادته فضلاً عن هذا كانت فى وقت من الأوقات منتشرة فى بلاد اليهود حتَّى لقد شكا حزقيال من أنَّ البكاء حزنًا على تموز كان يسمع فى الهيكل "[٤].

---

(١) عدد ١٤: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) مرقيون (ت نحو ١٦٠م): كاتب مسيحى، نشر بدعة فى روما، كانت أولى الكنائس المنفصلة، حُرِم، وحاربه ترتوليانس، قال بثنائيَّة تشبه ثنائيّة الغنوصيين، وبالتناقض بين إله العدل فى الأسفار اليهوديَّة وإله المحبَّة فى البشائر. انظر: المنجد ٥٣٠

(٣) من مقال " هل المسيح عدو للسامية "، مجدى إبراهيم محرَّم، منشور فى جريدة "الشعب" علىَ الأنترنت، واقرأ نص المقال فى ملاحق هذا الكتاب.

(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٣.

وفى زمن إرميا " قَدْ شَاعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُوذَا وَأَهْلِ أُورُشَلِيمَ .١٠ فَقَدِ ارْتَدُّوا إِلَى آثَامِ أَسْلاَفِهِمِ الَّذِينَ أَبَوْا الاسْتِمَاعَ إِلَى كَلِمَاتِى، ضَلُّوا وَرَاءَ الأَصْنَامِ لِيَعْبُدُوهَا، وَقَدْ نَكَثَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ وَشَعْبُ يَهُوذَا عَهْدِى الَّذِى أَبْرَمْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ."[1]، حتَّى كان لكل طائفة من طوائف اليهود إلهها الخاص: " ١٣ صَارَ عَدَدُ آلِهَتِكَ يَا يَهُوذَا كَعَدَدِ مُدُنِكَ، وَأَضْحَتْ مَذَابِحُكَ الَّتِى نَصَبْتَهَا لِلْخِزْى وَلإِصْعَادِ الْبَخُورِ لِبَعْلَ بِعَدَدِ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ. "[2]، وشمل الكفر جميع طبقات الشعب بدْءًا من سفلة الناس حتَّى وصل إلى ملوكهم ورؤسائهم وكهنتهم وأنبيائهم " ٢٦ وَكَمَا يَعْتَرِى الْخِزْى السَّارِقَ حِينَ يُقْبَضُ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ اعْتَرَى الْخِزْى بَيْتَ يَعْقُوبَ: هُمْ وَمُلُوكَهُمْ، وَرُؤَسَاءَهُمْ، وَكَهَنَتَهُمْ وَأَنْبِيَاءَهُمْ .٢٧ إِذْ قَالُوا لِنُصُبِ الْخَشَبِ: أَنْتَ أَبِى، وَلِلْحَجَرِ الْمَنْحُوتِ صَنَماً: أَنْتَ أَنْجَبْتَنِى. وَوَلَّوْا أَدْبَارَهُمْ وَلَيْسَ وُجُوهَهُمْ نَحْوِى،"[3].

لم يخط اليهود نحو التوحيد إلاَّ خطوة واحدة، عندما أصبح لليهود إله يعلو على آلهة غيرهم من البشر، وذلك فى زمن الوحدة السياسية بعد تأسيس مملكتى داود وسليمان[4].

والعجيب فى صهاينة المسيحيين محاولتهم الرفع من شأن العقيدة اليهودية بالكذب وبالبطل، فهذا ول ديورانت يقول: "لقد كانت اليهودية تسمو كثيرًا على غيرها من أديان ذلك الوقت فى عظمتها وسلطانها، وفى وحدتها الفلسفية، وفيما تنطوى عليه من حماسة أخلاقيَّة ومن أثر فى نفوس أهلها "[5]، ولا بُدَّ أنَّه أحس بشىْء من وخز الضمير لهذا الكذب الصريح؛ فعقيدة اليهود أحطَّ العقائد البشريَّة شأنا فى التاريخ كلِّه، فقد كفروا وعبدوا العجل وموسى بينهم، ثمَّ ازدادوا كفرًا بعده، وفى بعض الأحيان كان الله يبعث لهم بمئات الأنبياء فى وقت واحد، حتَّى

---

(١) إرميا ١١ / ٩ ـ ١٠.
(٢) إرميا ١١ / ١٣.
(٣) إرميا ٢ / ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٣.
(٥) المصدر السابق ٢ / ٣٤٤.

ليمكن القول إنَّه كان فى كل قرية نبى، وفى كل مدينة نبى أو أكثر؛ ففريقا يقتلون، وفريقا يكذِّبون، وعلى أصنامهم يعكفون، وأمَّا أخلاقهم فهى أسوء أخلاق البشر قولا وفعلا وعنصريَّة بغيضة.

وكيف تسمو هذه العقيدة اليهودية على الأديان مع أنَّ ديورانت نفسه يعترف بأنَّ " نُمُوَّ سلطان الكهنة، وانتشار التربية الدينية لم يكفيا لتكرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام ومن عبادة الأوثان، بل ظلَّت قُلَلُ التلال، والحِرَاج مأوى للآلهة الأجنبية، ومشهدًا للطقوس الخفيَّة، وظلَّت أقليَّة كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدَّسة، أو تعبد بعل وعشتروت، أو تتنبَّأ بالغيب على الطريقة البابلية، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور أو تركع أمام الحيَّة النحاسيَّة أو العجل الذهبى، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنيَّة، أو ترغم أطفالها على أنْ "يجوزوا فى النار" من قبيل التضحية؛ بل إنَّ بعض الملوك أنفسهم مثل سليمان وأهاب كانوا يتملَّقون الآلهة الأجنبية "[1].

وبدلا من الرجوع إلى الحق يزيد الطين بلَّة، فيقول: "وجدير بنا أنْ نذكر أنَّ التوحيد حتَّى فى يومنا هذا إنَّما هو توحيد نسبى ناقص، فكما كان اليهود يعبدون إلها قبليا، فإنَّا نحن أيضا نعبد إلها أوربيًّا ـ أو إلها إنجليزيا أو ألمانيا أو إيطاليا، ولا تمرُّ بنا لحظة واحدة نتواضع فيها قليلا فنذكر أنَّ الملايين الَّذين يسكنون الهند والصين واليابان، بله سكَّان الغابات المتفقهين فى دينهم ـ لا يعترفون بدين آبائنا نحن، ولن يكون للعالم كله إله واحد حتَّى تربط الآلات الأرض، وتألِّف بينها، وتجعلها وحدة اقتصادية، وتُجْمَع الأمم كلها فى حكومة واحدة "[2].

وهذا الكلام من التهافت بحيث لا يستحق مناقشته أو الرد عليه: فما هذه الآلهة الأوربية الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية...؟

وما هذه الآلات الَّتى تربط الأرض وتؤلف بينها ؟

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٦.

(٢) قصة الحضارة ٢ / ح ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

وما هذه الحكومة الواحدة الَّتى تحكم العالم ؟

لعلَّها الحكومة الأمريكية بمبادئها الديموقراطية الدمويَّة كما شهدها العالم فى العراق وأفغانستان !!! أو لعلَّها الحكومة الَّتى يحاول اليهود فرضها على العالم حسبما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون، وهى حكومة قائمة على واقع العالم الغربى الصناعى الَّذى سادت فيه قيم العلمانيَّة والنفعيَّة والداروينيَّة الاجتماعيَّة، ومن هنا كان الجمع بين الرأسماليَّة والاشتراكيَّة باعتبارهما نظامين بشَّر بهما اليهود، كما كان الجمع بين نيتشه وماركس باعتبارهما فيلسوفين يبشِّر اليهود بفكريهما، فبرغم الاختلافات العميقة بين النظامين المذكورين، والاختلاف بين الفيلسوفين، فإنَّ العامل المشترك الأعظم هو تأسيس مجتمع علمانى يستند إلى قيمتى المنفعة واللذَّة، لا إلى القيم الدينيَّة الأخلاقيَّة المطلقة[1].

وكأنَّ المؤرخ الكبير لم يسمع عن الإسلام ومبادئه، وكأنَّه لم يفهم سمو التوحيد فيه، وكأنَّه لم يعرف كيف يرى المسلمون الله فى قدرته وعظمته، وتنْزيهه عن كل شبيه ومثال !!!.

وهذا الإله الَّذى رسمت صورته أسفار اليهود لم يعد أحد من الناس يعبده اليوم: لا اليهود، ولا المسيحيُّون.

أمَّا اليهود فقد اخترعوا لهم إلهًا آخر رسم التلمود صورته؛ تضخَّمت فيه الحلوليَّة، واتَّسعت، " بحيث يمكننا اعتبار أنَّ التصوُّر التلمودى للإله يشكِّل نكسة للفكر التوحيدى، وللرؤية الَّتى طرحها الأنبياء فى العهد القديم؛ فالتلمود يخلع العديد من الصِّفات الإنسانيَّة واليهوديَّة على الإله، والعصمة ليست من صفاته"[2].

وقسَّم الأحبار يوم الإله قسمين: ثنتا عشرة ساعة راحة، ومثلها عمل، وقسَّموا عمله كالآتى:

۞ يقرأ التوراة فى ثلاث الساعات الأولى.

---

(١) اليد الخفيَّة ١٨.

(٢) اليد الخفيَّة ٢٧.

۞ ويحكم العالم فى ثلاث الساعات التالية، ويفكِّر فى إفناء العالم، ثم يترك كرسى القضاء إلى كرسى الرحمة.

۞ ويجلس فى ثلاث الساعات التالية، يرزق العالم كلـه، من أكبر الحيوانات إلى أصغرها.

۞ وفى ثلاث الساعات الأخيرة يلعب مع التنِّين أو الحوت[١].

وفى التلمود زاد اليهود فى رسم صورة الإله المتعصِّب لشعبه، فهو نادم على تركه اليهود فى شقاء، ويعبِّر عن ندمه بلطم الخدود، وشقِّ الجيوب، والبكاء والنحيب، ويمضى وقتًا طويلاً من الليل يزأر كالأسد، وتعهَّد بإقامة مجتمع يهودى أمثل فى آخر الأيَّام، ووقتئذ يجلس على العرش يقهقه لانتصار شعبه، بعد أنْ يجعل كلَّ الناس عبيدًا له[٢].

وبالرغم من ذلك فالإنسان منَّا لا يستطيع أنْ يتخيَّل أىَّ عقليَّة هذه الَّتى اخترعت كلَّ هذا القدر من الخرافات والكذب على الله، فالحاخامات لم يرحموا ضعف إلههم، وندمه، ورحمته لهم بل زادوا خضوعه لأحكامهم؛ فقد ورد فى التلمود أنَّ خلافًا وقع بين الإله وعلماء اليهود حول أمر ما، وبعد جدل طويل تقرَّر إحالة الأمر إلى أحد الخامات الَّذى حكـم بخطأ الإله الذى اضطرَّ إلى الاعتراف بهذا الخطأ، وتعهَّد باستشارة الحاخامات فى حلِّ المعضلات الَّتى يعجز عن حلِّها فى السماء، فيأتيهم إلى الأرض لتبصيره، ومعرفة الحكم منهم؛ وبذلك أصبح إلههم محجورًا عليه، ولا يملك من الأمر شيئًا إلاَّ أنْ يؤذن له[٣].

ويجب على المسلمين أنْ يحذروا كذب المسيحيين وخداعهم، فهم يحاولون الدفاع عن هذا الإله اليهودى الَّذى ارتضوه لأنفسهم إلها ـ مؤقَّتا، وإلى مرحلة قصيرة إلى أنْ ألَّهوا المسيح وعبدوه، فتركوا هذا الإله التعس ـ فالأنبا شنودة الثالث يتصدَّى

---

(١) اليد الخفيَّة ٢٧.

(٢) اليد الخفيَّة ٢٧.

(٣) اليد الخفيَّة ٢٨.

لتأويل العبارات الَّتى وردت فى تجسيم الإله، فيزعم أنَّ هذا مردُّه لأساليب البلاغة العربية فى خروج الاستفهام عن غرضه الحقيقى إلى أغراض بلاغيَّة، فعندما يسأل الله آدم: أين أنت ؟ فليس هذا جهلا منه بموضعه، وإنَّما هو تأنيب له على عصيانه وارتكابه الخطيئة... وإنْ صحَّ هذا فى بعض العبارات ـ فكيف نؤوِّل أكله وشربه وخداعه وكذبه وظلمه وعنصريَّته وصراعه وصراخه ولطمه الخد...؟ إنَّها خدعة مسيحيَّة يوارون بها نفاقهم، ويسترون بها كفرهم.

وأمَّا المسيحيُّون فاخترعوا لهم إلهًا آخر ذا ثلاث شعب: ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾[1] وهو ما سنتبيَّنه فيما يأتى.

دلالة الأرقام: فى التراث الشعبى لكل الشعوب تعتبر بعض الأرقام رموزًا تحمل دلالات خاصَّة، اكتسبتها من طقوس دينية، أو وقائع تاريخية، أو تجارب شخصيَّة، تجرى على الألسن، وتصبح حقيقة عرفيَّة متَّفقا عليها بين الجماعة، والرقم ثلاثة أكثر هذه الأرقام ارتباطًا بالعقائد فى أكثر السالات السماوية والديانات الإنسانية.

وسنذكر بعض الأمثلة، ومنها نرى كيَّف تسرَّبت عقيدة التثليث إلى رسالة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، وأصبحت أصلا للعقيدة المسيحيَّة.

❁ العدد ثلاثة عند العرب أوَّل الجمع الَّذى لا يلزم الوقوف عنده، بل يبيح الزيادة عليه، وغالبًا ما يمكن تجاوزه إلى التعدد، بينما العدد سبعة يدل على غاية الجمع الَّتى لا مزيد عليه فى العقد الاجتماعى، وإنْ كثرت الجموع بعده؛ فإذا قلت: فى الأسبوع سبعة أيَّام، فلا يتصور فى العقد الاجتماعى أنْ يكون الأسبوع ثمانية أيام، بالرغم من توالى الأيام بعد نهاية الأسبوع، ويصدق هذا أيضا على قولك: السموات السبع، والأرضين السبع، والكواكب السبعة، وعجائب الدنيا السبع، والحكماء السبعة...

واقرأ قول الله تعالى فى عدد أهل الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ

---

(١) سورة المرسلات ٧٧: ٣١.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[1]، وانظر كيف أنَّ العدد ثلاثة لم يمنع من الزيادة عليه؛ فكان له خامس وسادس وسابع، بينما العدد سبعة لا مزيد عليه.

والحقيقة أنَّ الإله المثلث هذا لا يستطيع عقل أيِّ إنسان ـ ما لم يكن مسيحيًّا ـ أنْ يتصوَّرَه، أو أنْ يقبل به؛ فهو مخالف لكل منطق، ولكل فهم، ولكل دين، ويحاول المسيحيُّون أنْ يوضِّحوا لنا تصوَّرهم هذا بتقديم الحجج والبراهين الَّتى يرونها كافية لإقناع الناس بصدق دعواهم، فلا تزيدنا تلك الحجج إلاَّ غموضًا، ونفورًا، وهذا مثال لحبر كبير من أحبارهم المميَّزين هو البابا شنوده الثالث، قال مجيبًا عن السؤال هل هناك تشابه بين الثالوث المسيحى وما يدعى بالثالوث الوثنى ؟

قال: "المسيحيَّة تنادى بأنَّ الأقانيم الثلاثة إله واحد، كما وردت فى (١ يو ٥: ٧) وكما وردت فى قول السيِّد المسيح: "وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩) حيث قال باسم، ولم يقل بأسماء. ولعلَّ سائلاً يسأل: كيف أنَّ ١ + ١ + ١ = ١، فنقول: ١ × ١ × ١ = ١

الثالوث يمثِّل الله الواحد، بعقله وبروحه، كما نقول: إنَّ الإنسان بذاته، وبعقله، وبروحه كائن واحد، وإنَّ النار بنورها، وحرارتها كيان واحد "[2].

وبصرف النظر عن رأينا فى بشائرهم الَّتى ينقل مقولات منها، ويستشهد بها، فنحن هنا نفحص أدلَّته الَّتى يراها تفسِّر عقيدته:

أولا: فى عبارة "قال باسم، ولم يقل بأسماء".

ليس تركيب العبارة تركيبًا عربيًّا؛ فالعرب لا تقول: هذا بيتى وأخى وجارى، وإنَّما تقول: هذا بيتى، وبيت أخى، وبيت جارى.

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٢٢.

(٢) سنوات مع أسئلة الناس ٢٠ ـ ٢١.

و العرب لا تقول: ضرب العدو مدن وقرى ومزارع الوطن.

وإنَّما تقول: ضرب العدو مدن الوطن، وقراه، ومزارعه.

والعرب لا تقول: جاءوا الرجل والمرأة والأولاد.

وإنَّما تقول: جاء الرجل والمرأة والأولاد.

فصحَّة التركيب أنْ يكون للمضاف مضاف إليه واحد، وكثير من نحاة العرب خرَّج الشاهد النحوى الَّذى يقول:

يَا مَنْ رَأى عَارِضًا أسَرُّ بِهِ بَيْنَ ذِرَاعَىْ وَجَبْهَةِ ٱلأسَدِ

بحذف المضاف الأول لدلالة الثانى عليه، والأصل بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد، وقيل: هو من الضرورات الشعرية، بل وصفه بعضهم بالشذوذ، والخروج عن سنن العربية، وشيوع مثل هذا التركيب فى لغتنا المعاصرة لا يعطيه شرعيَّة لغويَّة وإنَّ جوزه مجمع اللغة العربية فى القاهرة.

وعند العطف على اسم، فصحَّة التركيب أنْ يراعى المعطوف عليه فقط، والمعطوف تبع له؛ ألا تراهم يقولون: باسم الله والوطن والشعب ـ فهل لملايين الشعب اسم واحد؟ وهل لفظ الاسم هنا يدل على أنَّ الله والوطن والشعب شىْء واحد؟

ألم يسمع البابا متحدِّثا يقول: باسمى وباسمكم أحيِّى الحاضرين... فهل للجميع هنا اسم واحد ؟

والعجيب فى فكره أنْ يجعل الجمع فى: ١ + ١ + ١ = ١

مساويًا للضرب فى: ١ × ١ × ١ = ١

ويمكننا أنْ نناقش دليله هذا بمفهومين:

الأول: المفهوم اللغوى واحد (فى) واحد (فى) واحد يساوى واحدًا.

فهذا يعنى أنَّ لدينا ثلاثة أحجام للإله؛ كما لو وضعت مثلا: حقيبة صغيرة فى حقيبة متوسطة، ثم وضعت الاثنتين فى حقيبة أكبر منهما فالناظر إليها يراها حقيبة

واحدة كبيرة، وفى الحقيقة هى ثلاث حقائب إحداها (فى) الأخرى ـ فهل هذا هو المفهوم المسيحى للإله ؟ لا أظنُّ؛ فهم يزعمون أنَّ أقانيمهم الثلاثة متساوية فى الجوهر، والأزليَّة، والقدرة وليس أحدها مختلفًا عن الآخر فى شىْء، ولا سابقًا عليه.

وبأسلوب المراوغة يعلل الأنبا شنوده هذا التساوى، قائلا: " الابن يكون أصغر من الآب فى الولادة الجسدانيَّة، ولكن ليس فى الفهم اللاَّهوتى، ويمكن أنْ توجد ولادة طبيعيَّة بغير فارق زمنى.

فمثلا: الحرارة تولد من النار بدون فارق زمنى...[1].

ويستمرَّ السيِّد شنوده فى ضرب الأمثلة الخادعة المضللة من هذا النوع، ونسأل نيافة الأنبا: هل الحرارة المتولِّدة من النار جسد ؟

على مَنْ تدجِّل يا بابا ؟

والآخر: المفهوم الحسابى؛ ويبدو أنَّ السيِّد شنودة ضعيف جدًّا فى الرياضيَّات؛ فعندما نقول: ٢ × ٣ = ٦؛ فمعنى هذه العبارة أنَّك لو جمعت ٢ مع نفسها ثلاث مرَّات، أو جمعت ٣ مرتين كانت النتيجة ٦.

والشرط لصحَّة الحسبة أنْ يكون المجموع من جنس واحد، فلا يصح أنْ نقول: تفاحة + برتقالة + ليمونة = واحد.

لأنَّ الإجابة عن السؤال واحد ماذا ؟

واحد برتقالة ـ فأين التفاحة ؟ وأين الليمونة ؟

واحد تفاحة ـ فأين البرتقالة ؟ وأين الليمونة ؟....

وحتَّى لو قيل لك ٣ برتقالات، ثمن كل منها قرشان ـ فيكون ثمنها ٣ × ٢ = ٦ قروش، فأنت فى الحقيقة لم تجمع البرتقالات مرتين، إنَّما جمعت ثمن ثلاث برتقالات، كل منها ثمنها قرشان.

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس ٤١.

ومعنى ذلك أنَّك لا تصح أنْ تقول:

الآب × الابن × الروح القدس = واحد.

لأنَّ الإجابة عن السؤال واحد ماذا ؟

واحد آب ـ فأين الابن ؟ وأين الروح القدس ؟

واحد ابن ـ فأين الآب ؟ وأين الروح القدس ؟

واحد الروح القدس ـ فأين الآب ؟ وأين الابن ؟

وقبل أنْ نناقش باقى عبارة البابا أحبُّ أنْ أشير إلى أنَّ هذا الدليل الحسابى تحريف ـ والتحريف من دأبهم ـ لدليل ذكره هرمس، يثبت به وحدانيَّة الله، فقد جاء فى متون هرمس:

" آتوم كامل كمثل الواحد الَّذى يبقى واحدًا لو ضرب فى ذاته، أو قسم عليها، ومنه تأتى كافة الأرقام[1].

فانظر كيَّف بدَّل البابا دليل الوحدانيَّة إلى تثليث لا يثبت لا بالدليل اللغوى، ولا بالدليل الحسابى.

وأمَّا قوله: " الثالوث يمثِّل الله الواحد، بعقله وبروحه، كما نقول: إنَّ الإنسان بذاتـه، وبعقله، وبروحه كائن واحـد، وإنَّ النار بنورها، وحرارتها كيان واحد ".

فالتشبيه باطل، والتمثيل خادع؛ لأنَّ الإنسان لا ينفصل عن عقله، وروحه، والنار لا تنفصل عنها الحرارة انفصالا مستقلاً كانفصال المسيح الَّذى كان فى بطن أمَّه، وولد ولادة طبيعية، وعاش على الأرض كما يعيش الناس، يأكل ويشرب، وينام ويستيقظ، بينما (الآب) ـ بزعمهم ـ كان فى السماء، مفصولا جسديًّا عن (الابن).

ومن المؤسف أنَّ الوصف الَّذى يستحقه كتاب نيافة الأنبا شنوده هو الدجل

---

(١) متون هرمس ٤٢.

والكذب والخداع، وكل صنوف المروغة وفساد العقل؛ وسأكتفى هنا بضرب بعض الأمثلة:

۞ قال نيافته: " فى العهد القديم كانوا يرون الله فى ظهورات.

إمَّا على هيئة ملاك كما ظهر لموسى النبى فى العليقة (خر ٣: ٢ ـ ٦) وإمَّا على هيئة أحد الرجال كما ظهر لأبينا إبراهيم عند بلوطة ممرا (تك ١٨: ٢، ١٦، ١٧) أمَّا بالنسبة إلى أبينا يعقوب فقد ظهر له فى هيئة إنسان صارعه حتَّى طلوع الفجر (تك ٣٢: ٢٤)...[1].

ونسأل نيافته: ماذا تعنى بالظهورات ؟ أ هى أجسام أم خيالات ؟

فإنْ كانت أجسامًا فهى لا فرق بينها وبين المسيح المتجسِّد، فكلاهما من نوع واحد يتحرَّك، ويتكلَّم ـ ويصارع كما قلت ـ بل إنَّ " الإله " الَّذى استضافه سيِّدنا الخليل إبراهيم عليه السلام ـ بزعمكم ـ أكل وشرب من الذبيحة الَّتى قدَّمها له، وملأ معدته بما لذَّ وطاب، ولعلَّه أحدث تحت البلوطة بعد هذه الأكلة الدسمة ليتخلَّصَ من نفايات الطعام؛ ومعنى هذا أنَّ للإله هنا وجودا حقيقيا، متجسِّدا، ظاهرا، وليس مجرَّد خيال.

وإذا كان الفرق ـ كما زعمت ـ فى أنَّ ظهور المسيح وتجسَّده كان منذ الحمل به، والولادة، والنشأة، والحياة... فهو تجسُّد دائم، بينما تلك "الظهورات" كانت مؤقَّته؛ فهذا فرق فى التوقيت، وفى الغرض من التجسُّد، وليس فرقا فى النوع، فكلاهما تجسُّد.

وإنْ كُنْت تعنى بالظهورات مجرَّد خيالات وأوهام فهو مناقض لكل ما فى كتابكم من "ظهورات"، وتصبح رؤية الأنبياء عندكم تهويمًا وأحلامًا من نوع ما يسمُّونه "أحلام اليقظة"؛ فلا رسالة، ولا نبوَّة، ولا عقيدة تتبع.

۞ وفى الإجابة عن السؤال: هل للمسيح أخوة بالجسد ؟ قال نيافته: "يعقوب

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس ٢٤ ـ ٢٥.

ويوسى وسالومة هؤلاء: أبناء مريم زوجة كلوبا (وسبق أنْ ذكر نيافته أنَّ كلوبا نطق آخر لحلفى !!) هم الَّذين ورد ذكرهم فى قول اليهود عن المسيح " أليس هذا هو ابن النجَّار ؟ أليست أمُّه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ " (مت ١٣: ٥٥)، و (مر ٦: ٣). أمَّا العذراء مريم فلم تلد غير المسيح، وعاشت بتولا طول حياتها " وأخوة المسيح " ليسوا أولادها، وإنَّما هم أولاد أختها[١].

ولا أدرى كيف أباح نيافة الأنبا لنفسه كل هذا القدر من التلفيق والكذب، والتضليل: فبحسب كتبهم كان يواقيم ـ أبو مريم العذراء ـ عقيما لا ينجب، وكذلك أمُّها، واستجاب الله دعاءهما، ورزقهما مريم، ونذراها لخدمة الرب، ولم يولد لهما غيرها ـ فمن أين جاءت أختها هذه ؟ وهل كانت أختها أيضا تحمل الاسم نفسه ؟

ثمَّ إنَّ النجَّار فى المقولة المذكورة هو يوسف خطيب مريم ـ بزعمهم ـ فقد جاء فى بشارة لوقا " ٢٦ وَفِي شَهْرِهَا السَّادِسِ، أُرْسِلَ الْمَلاَكُ جِبْرَائِيلُ مِنْ قِبَلِ الله إِلَى مَدِينَةٍ بِالْجَلِيلِ اسْمُهَا النَّاصِرَةُ، ٢٧ إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ اسْمُهُ يُوسُفُ، مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ، وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. ٢٨ فَدَخَلَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «سَلاَمٌ، أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكِ: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النِّسَاءِ»."[٢]، فما علاقة النجار هذا بكلوبا ذاك الَّذى ينطق حلفى زوج مريم الأخرى !! ؟

ولاحظ أنَّ نيافته ذكر اسم سالومة، بدلا من سمعان ويهوذا فى المقولة فهل سلومة هذه هى سمعان ويهوذا ؟ أو هى شخص آخر غيرهما، وفى ظنِّى ـ إنْ صدق ـ أنَّ اسم سلومة امرأة، وأنَّ سمعان ويهوذا رجلان؛ فهل انقلبت المرأة رجلين، أو انقلب الرجلان امرأة ؟ أو فى شرعهم أنَّ المرأة برجلين ؟

۞ وقال نيافته عن صعود المسيح ﷺ والجاذبيَّة الأرضية: " إنَّما المعجزة هى فى

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس ٥٦.

(٢) لوقا ١: ٢٦ ـ ٢٨.

تحوُّل الجسد المادِّى إلى جسد روحانى سماوى يمكن أنْ يصعد إلى فوق "[1]. هل سمع أحدكم أو رأى جسدًا روحانيًّا ؟

وأحبُّ أنْ أنبِّه القارئ الكريم إلى أنَّ اختراع المسيحيين لكلمتى: "اللاهوت والناسوت" حلَّت لهم جميع المشكلات العويصة الَّتى تواجه العقل البشرى، وتشل فاعليته، وتلغى وجوده؛ فإذا قلنا لهم: هل هناك إله يأكل ويشرب ويتبرَّز..؟ يقولون: ناسوت.

وإذا قلنا لهم: هل هناك إنسان أزلى قديم..؟ يقولون: لاهوت.

وبذلك وجدوا إجابة عن كل سؤال يوجَّه إليهم، فما أسهل تصنيفه فى واحد من الصنفين اللذين يتناقضان، وليس أحدهما هو الآخر.

وسأكتفى بالمثال الأخير الآتى من أكاذيب نيافة البابا:

۞ قال نيافته وهو يتحدَّث عن موت المسيح وقيامته: " انفصلت نفسه عن جسده، ولاهوته لم ينفصل قط عن نفسه، ولا عن جسده "[2].

وشرح نيافته هذه القسمة السريانية الجميلة الَّتى يرددونها فى القدَّاس الإلهى ـ بحسب رأيه بقوله: " انفصلت الروح البشرية عن الجسد البشرى، ولكنَّ اللاَّهوت لم ينفصل عن أىٍّ منهما، وإنَّما بقى متَّحدًا بهما كما كان قبل الموت.

وكل ما فى الأمر أنَّه قبل الموت كان اللاَّهوت متحدا بروح المسيح وجسده وهما متحدان معا، أمَّا فى حالة الموت فكان اللاهوت متحدا بهما، وهما منفصلان عن بعضهما البعض. أى: صار متحِّدًا بالروح البشريَّة على حدة، ومتَّحدًا بالجسد على حدة "[3].

قرأت الأسطر الأربعة الأخيرة أكثر من ستين مرَّة، ولم أفهم منها شيئًا ـ فهل فهمت أنت ؟

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس ١٢٢.

(٢) المصدر السابق ٨٨.

(٣) سنوات مع أسئلة الناس ٨٨.

ما هذا اللاَّهوت الَّذى يتحد بالجسم والروح معا وقت حياة المسيح، ثمَّ يعود فيفرِّق بينهما عند الموت، ويتحد بهما كل على حدة، ثم يعود فيجمع بينهما ويتحد بهما عند القيامة ؟ وهل هو لاهوت واحد اتَّحد بالروح وبالجسد أحدهم بعد الآخر وقت انفصالهما، أو انقسم قسمين اتَّحد قسم منه بالروح والقسم الآخر بالجسد، أو هما لاهوتان اتَّحد أحدهما بالروح واتَّحد الآخر بالجسم ؟

أعترف أنَّى لم أفهم لهذه العبارة معنى، وكثيرًا ما اتهمت نفسى بالغباء، أو أنَّ هذا كلام إنسان فاسد العقل والتمييز.

ونعود مرَّة أخرى إلى تفريق نيافة الأنبا شنوده بين ثالوث النصارى وثالوث الوثنيين، وفى صفحات متعددة ذكر أسطورة إيزيس وزوجها أوزوريس وابنهما حورس، وصراعهم الطويل المرير ضد إله الشر ست ليخلص فى النهاية إلى أنَّ الثالوث الوثنى القائم على علاقات جنسية بين ذكر وأنثى ليس من نوع الثالوث الأقدس المسيحى، وأحبُّ أنْ أذكِّر نيافته هنا بالأمر البالغ الأهميَّة الآتى:

هذا الأمر هو أنَّ جميع الرسالات السماوية دعت إلى عبادة إله واحد، ولا نعرف رسالة منها تحدَّثت أو أشارت إلى ما سمَّاه الثالوث الأقدس أو الثالوث غير الأقدس؛ والحقيقة الَّتى لا يمارى فيها نيافته ـ ولا غيره ـ أنَّ هذه "الثالوثات" كلها أثر من آثار الديانات الوثنية، ولا علاقة لها بالرسالات السماوية، ولو استعرضنا الديانات الوثنية القديمة فى الشرق وفى الغرب على السواء لوجدنا عشرات الأمثلة لتجمعات ثلاثية للآلهة الوثنية؛ وهو أمر طبيعى، ذلك لأنَّ جميع الأساطير من ابتكار الفكر الإنسانى، والإنسان يعيش فى مجتمع قبلى له رئيس يحكمه، وينتظم أفراده فى أسر متعدِّده، تربط بينها علائق الحياة اليومية من حب وكره، ومن خير وشر، ومن تعاون وتآزر أو تنافر وتناحر؛ وكذلك نجد الآلهة الوثنية عند اليونان والرومان، وعند الهنود والمصريين... تمثل حياتها كلها صورة من صور المجتمعات القبلية البشرية؛ فكما للقبيلة رئيس أو كبير فللآلهة رئيس، أو كبير، وكما للبشر أسرة مكوَّنة من أب وأم وولد وللأسر أصهار ونسب فالآلهة كذلك لها أسر ثلاثية

الأفراد، ولها أقارب وأصهار... ونحن هنا نستشهد بأقول المسيحيين أنفسهم، حتَّى لا نتهم بالافتراء عليهم، وعلى القارئ الكريم أنْ يرجع إلى:

❁ خزعبلة الآلهة الثلاثة، كما سمَّاها وصوَّرها ابن العبرى[١].

❁ وفسَّر ابن العبرى الأقانيم الثلاثة بأنَّها تعنى: الوجود، والحكمة، والحياة، وهى ذاتها المعانى الثلاثة الَّتى فسَّر بها " طريسميجيسطيس: ثلاثى التعليم " وهو لقب هرمس[٢].

❁ كانت الآلهة: رع (أو آمون كما كان يسميه أهل الجنوب) وأوزير وإيزيس، وحورس أعظم أرباب مصر، ولمَّا تقادم العهد امتزج رع وآمون وإله آخر هو فتاح فأصبحت ثلاث صور أو مظاهر لإله واحد أعلى يجمعها هى الثلاثة[٣]، ولاحظ أنَّ امتزاج الآلهة الثلاثة فى الأسطورة المصرية هى ذاتها تركيبة الإله المثلث عند المسيحيين.

❁ ذكَّرنى حديث نيافة الأنبا عن الأسطورة المصرية "إيزيس" بالمثل الشعبى المصرى الَّذى يقول "اللى على راسه بطحه بيحسس عليها"، أو كما تقول العرب "يكاد المريب أنْ يقول: خذونى"؛ فقد تواترت أقوال المؤرخين بالرباط الوثيق بين إيزيس والعذراء، فمن ذلك:

❁ يقول الدكتور أحمد سوسة: الأيقونات Icônes لفظ يونانى بمعنى الصور، وقد ابتدعها رسامو الكنيسة الشرقية، وتمثل مريم العذراء والقديسين، وعبادتها واجبة عند أكثر المذاهب المسيحية[٤]، وصورة مريم العذراء هى ذاتها صورة إيزيس ـ كما قال سير وليم تارن ـ الإلهة المصرية، صديقة المرأة، كانت زوجة وأمًّا مثل المرأة البشرية تماما تمنح النساء القوّة المعادلة لقوّة الرجال، وبهذه الصفة الممتازة اكتسحت

---

(١) تاريخ مختصر تاريخ الدول ٧٢.
(٢) المصدر السابق ٧، ٧٥.
(٣) قصة الحضارة ٢ / ١٦١.
(٤) العرب واليهود ١٢٩.

إيزيس حوض البحر المتوسط حتى إذا انتهى الأمر بنصر المسيحية، وخُلِعَ زيوس، وأبولون، وسرابيس، والآلهة النجوم عن عروشهم، كانت إيزيس وحدها هى التى نجت ـ بصورة ما ـ من غائلة ذلك السقوط الشامل، وقد أدخلت عبادة العذراء قبل نهب السرابيوم، وانتقل القانتون من عبادة إيزيس فى هدوء إلى عبادة أم أخرى، هى أم المسيح، ويمكن الاستدلال على ذلك من أنَّه يقال: إنَّ تماثيل متعددة معروف أنَّها لإيزيس، أصبحت تستخدم فيما بعد لتمثل السيدة مريم العذراء[1].

وهذه شهادة مؤرخ مسيحى آخر هو ول ديورانت، قال:

"لا ترمز أسطورة إيزيس الأم العظمى إلى فضلها على خصب الأرض فقط، بل كان لها فضل أعظم من هذا وأنفع؛ لقد كانت رمز القوَّة الخالقة الخفيَّة الَّتى أوجدت الأرض، وكل ما عليها من الكائنات الحيَّة، وأوجدت ذلك الحنو الأموى الذى يحيط بالحياة الجديدة حتَّى يتم نموها مهما كلفها من جهد وعناء، كما كانت ترمز إلى ما للعنصر النسوى من أسبقية وأفضلية واستقلال فى الخلق، وفى الميراث، وإلى ما كان للمرأة أوَّل الأمر من زعامة فى حرث الأرض؛ ذلك أنَّ إيزيس هى الَّتى عثرت على القمح والشعير حين كانا ينموان نموًّا بريًّا فى أرض مصر وكشفت عنهما لأوزيريس، وكان المصريُّون يعبدونها عبادة قائمة على الحب والإخلاص، فصوَّروا لها صورا من الجواهر لأنَّها فى اعتقادهم أمُّ الإله، وكانت لها صورة قدسيَّة تمثِّلها وهى ترضع طفلها فى ريبة، لأنَّها حملت به بمعجزة من المعجزات، وكانت هذه الصورة يضعها الكهنة فى معبد ابنها المقدَّس حورس (إله الشمس) فى منتصف فصل الشتاء من كل عام.

ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الشعرية الفلسفية أعمق الأثر فى الطقوس المسيحيَّة، وفى الدين المسيحى حتَّى أنَّ المسيحيِّين الأولين كانوا أحيانا يصلُّون أمام تمثال إيزيس الذى يصوِّرها وهى ترضع طفلها حوريس وكانوا يرون فيهما صورة

---

(١) الحضارة الهللنيستية ٣٨٢.

أخرى للأسطورة القديمة النبيلة أسطورة المرأة ـ (أى العنصر النسوى) ـ الخالقة لكل شئ والّتى تصبح آخر الأمر أمّ الإله[1].

فالعلاقة بين أسطورة إيزيس والعقيدة المسيحيَّة علاقة وثيقة، ولا معنى لأنْ ينكر الأنبا شنوده الشبه الواضح بينها وبين ما يعتقدون، وعلى كل حال فقد تصدَّى كثير من العلماء والباحثين لبيان أسس العقيدة المسيحية، والرد على القائلين بالثالوث، بل إنَّ كثيرا من اللاَّهوتيين المسيحيين أنفسهم خلعوا رداء الكهنوت، وتصدوا للكنيسة، ومن أكثرهم جرْأة عليها القس الإيطالى السابق لويجى كاتشيولى، الَّذى رفع قضيَّة ضد الكنيسة، بتهمة ترويج معلومات خاطئة والتعسف فى استغلال سذاجة الشعب بنشر معلومات مزورة عن يسوع، وإحلال شخصية بدلا عن شخصية أخرى، فإنَّ يسوع كما تقدمه الكنيسة لا سند تاريخى له، و أنَّ ما تروج له هى شخصية مركّبة من تأليف آبائها القدامى، و أنَّ كل نصوصها وعقائدها نصوص غير منزَّلة وغير حقيقية ومختلقة، أى أنَّه قد تم كتابتها عبر المجامع على مر التاريخ.

وقد ضمّن وجهة نظره هذه بكل ما تمكن من جمعه من معطيات تاريخية فى كتاب عنوانه " قصة خرافة يسوع" (La fable du Christ) الصادر فى يناير ٢٠٠١، وقدَّمه كوثيقة رسمية فى القضية، وقدم معه موجزاً يطرح فيه بعض الأدلة على عدم وجود يسوع تاريخيا بالصورة التى تقدمه بها مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية.

وما أكثر الذين تناولوا هذه القضية وطرحوا أسانيد علمية لها، ومنهم بروسبير ألفريك، والقس السابق جى فو، والقس توم هاربر، وجيرالد ماسيه، وجون دومنيك كروسون، وألبرت شفايتسر،وجيرار ميساديبه.... وغيرهم كثير[2].

سبق أنْ بيَّنت أنَّ إله اليهود ليس هو إله النصارى، ومن المؤكَّد أنهما ليسا إله

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ١٦٠.

(٢) القضاء الإيطالى يدرس قضية يسوع، مقال للدكتورة زينب عبد العزيز، جريدة الشعب الإلكترونية بتاريخ ١٩ / ٥ / ٢٠٠٦م. وانظر المقال فى ملاحق الكتاب.

المسلمين؛ ويعترف فرانكلين جراهام Franklin Graham فى كتابه " الاسم The Name" أنَّ " الاختلاف رقم واحد بين الإسلام والمسيحيَّة أنَّ إله الإسلام ليس إله الديانة المسيحيَّة "[1]، وأنَّ كلمة "الآب" ليس واحداً من الصفات التسع والتسعين الَّتى يعرفها المسلمون لأسماء الله الحسنى؛ ذلك لأنَّ البشر شوَّهوا هذا المفهوم الجميل للآب الودود بأنْ جعلوه أبا للابن الوحيد المولود، وجعلوه مثل البشر[2].

(١) انظر " لماذا يكرهونه ٤١.

(٢) الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام، مجموعة ديدات الثانية ٧٠.

obeikandl.com